الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

# محاضرات في مقياس :

# تاريخ الأدب القديم 2/1

قدمت لطلبة : السنة الأولى ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

شعبة: الدراسات الأدبية

أستاذ محاضر (أ) إعداد الدكتور :

نور الدين علوي

السنة الجامعية 2025/2024

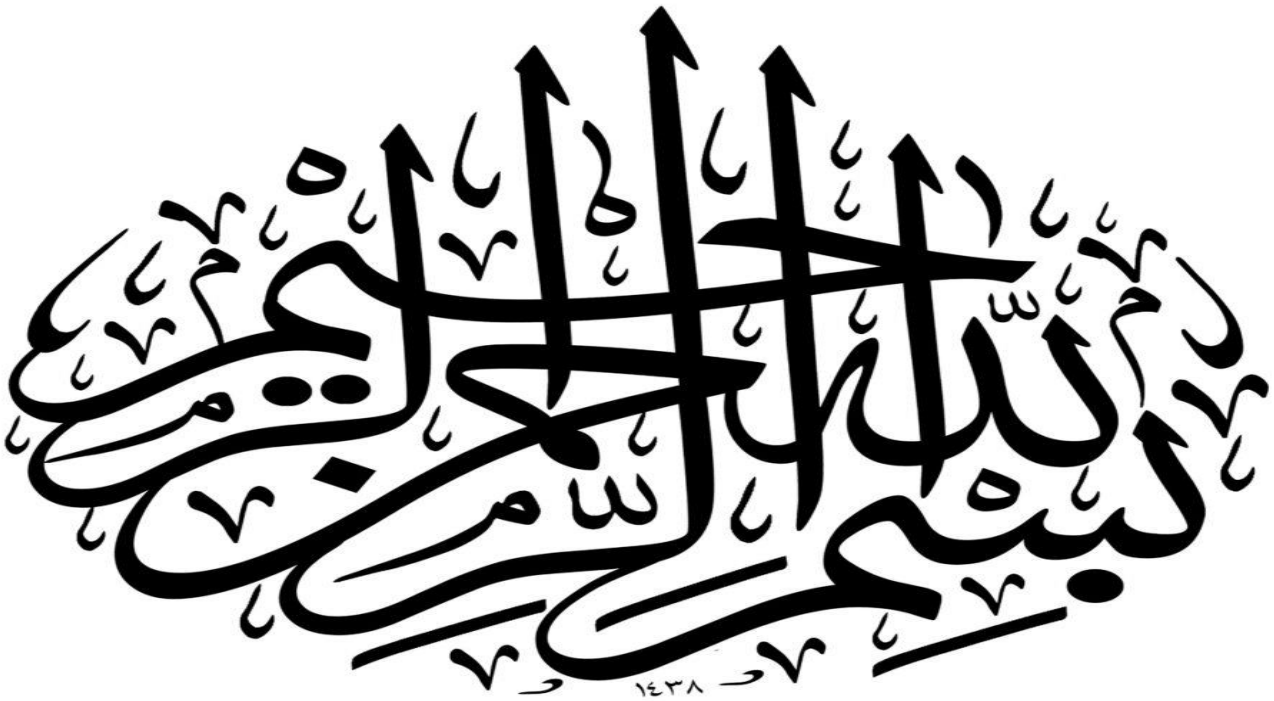
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

# تاريخ الأدب القديم 1

## السّداسي الأوّل

# المحور الأوّل :الإطار الزّماني والمكاني للأدب قبل الإسلام

## 1-معنى الأدب:

### أ/ لغة:

يرى بعض مؤرّخي الأدب أن لفظة أدب بوزن "فَعَل" لم تستعمل في الجاهلية، إلاّ أنّ المتتبِّع لأخبار العرب يجدها قد وردت في خطاب النعمان بن المنذر إلى كسرى في قوله: "قد أوفدت إليك، أيّها الملك، رهطًا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم. ويقول عتبة بن ربيعة لبنته هند يصف لها أبا سفيان زوجًا من غير أن يسمّيه: "يؤدِّب أهله ولا يؤدّبونه..." فقالت إنّي: "لآخذته بأدب البعل" إلى غير ذلك. فالواضح أنّها لفظة معروفة في اللّسان العربي في الجاهليون لمّا جاء الإسلام انتقلت إلى معنى التّهذيب والتّذليل والتّثقيف؛ يقول الرسول صلى الله عليه و سلّم: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأنفق عليهن وزوّجهن وأحسن أدبهن كن له سترًا من النّار" رواه الشيخان. وقال عُمر لبعض ولده: "احفظ محاسن الشّعر يحسن أدبك."

ثم شاعت اللفظة لتعني الرياضة والتذليل باكتساب مكارم الأخلاق والمعارف، قال مزاحم العقيلي:

وهُنَّ يُصرّفن النَّوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المُذَلَّلِ

ثم تداولها الناس من بعد ذلك بالمدلول المعروف اليوم وهو كل رياضة محمودة يتخرّج بها الأديب في فضيلة من الفضائل.

إذن كلمة أدب من الكلمات التي تطوَّر مدلولها وتعاقبت عليها معان متقاربة، حتى استقرّت على المعنى الذي يتبادر إلى الذّهن اليوم .

**ب/اصطلاحا:**

أمّا في الاصطلاح فالأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يراد به التأثير في عواطف القُرّباء والسّامعين، شعرًا كان أم نثرًا. ويراد بالأدب العربي مجموع الآثار النثرية والشعرية التي أنتجها العقل العربي في عصوره المختلفة.

**2-الجاهلية لغة و اصطلاحا :**

**أ/الجاهلية لغة :**

" الجاهليّة مصطلح مُستحدث، ظهر بظهور الإسلام، وقد أطلق على حال قبل الإسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة."[1]

" وقد وردت لفظة (الجاهليّة) في القرآن الكريم، وردت في السُّور المَدنيَّة، دون السُّور المكيّة، فدلَّ ذلك على أنّ ظهورها كان بعد هجرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة. "[2]

**ب/الجاهليّة اصطلاحا :**

قال تعالى" :أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ "المائدة: 50 وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم" :أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " رواه مسلم

**العصر الجاهلي:**

صار من الثابت بين الباحثين أن العصر الجاهلي لا يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب طوالٍ، ولكنه يقتصر على حقبة لا تزيد على القرنين من الزمان، وهي ما اصطلح الباحثون

1-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993م، ج1، ص37.

2-المرجع نفسه، ص38.

على تسميتها بالجاهلية الثانية، وفي تلك الحقبة ظهر هذا الإنتاج الغزير الناضج من الشعر والنثر، واكتملت للغة العربية خصائصها التي برزت من خلال هذا النّتاج الأدبي الوفير.

كما استقرَّ أيضًا رسم حروفها الألفبائيّة. فما انتهى إلينا، إذن، من أدب جاهلي هو أدب الجاهلية الثانية، وهو ما نستطيع الحديث عنه ودراسة فنونه وخصائصه.

أمّا أدب ما قبل هذه الحقبة التاريخيّة فهو أدب ما يُسمّى بالجاهليّة الأولى، وهو أدب لم تتوافر نصوص منه، فالحديث عنه غير ممكن. ومن هنا فإنّ الأبحاث التي استقصت أوّلية الشعر العربي أو أّولية اللغة العربية تقوم على مجّرد الحدس والتخمين، أو على نوع من الأخبار الوهميّة والخرافات.

على أن اللغة العربية التي سُجِّلت بها النصوص الأدبيّة في عصر الجاهليّة الثانية هي واحدة من الأسرة الساميّة التي تشمل: 1- الأكاديّة والبابليّة والآشوريّة. 2-الآرامية. 3- الكنعانية. 4- الحبشية. 5- ثم العربية بفرعيها: الشّمالي والجنوبيّ.

وإذا كانت الأميّة قد شاعت بين العرب، فإنّ هذا لا يعني قطُّ انعدام القراءة والكتابة لديهم، فقد انتشرت بينهم القراءة والكتابة بالقدر الذي يسمح لهم بتدوين معاملاتهم وآدابهم، وإذا كانت الذاكرة العربية التي تميزت بالقُوّة قد حفظت قدرًا كبيرًا من الأشعار، فإن التّدوين أيضًا كان مساندًا للرّواية الشفويّة.

أمّا طرح "ابن سلام" في كتابه "طبقات فحول الشعراء" لقضية الانتحال، فينبغي أن يُؤخذ على أنّه دليل على ما بذله القُدامى من جهود لتنقية الشّعر الجاهلي من التّزييف، ووضع المعايير العلميّة الدّقيقة لضمان سلامته وتوثيقه.

**الإطار الزّماني للعصر الجاهلي:**

" إنّ الفترة الزمنيّة للعصر الجاهليّ، أو المدّة الزمنيّة بلفظ أدق، تمتدُّ من مئة وخمسين عاما أو مئتين بحسب الجاحظ قبل مجيء الإسلام، فالعصر الجاهلي هو العصر الذي سبق الإسلام مباشرة. "[1]

" فإذا كان مجيء الإسلام يوافق 610 م، فالعصر الجاهلي يبدأ تقريبا منذ عام 410 م، إلى عام 610 م، وهو عام البعثة النبويّة الشريفة. "[2]

**الإطار المكانيّ للعصر الجاهلي:**

" تشغل جزيرة العرب الجنوب الغربيّ لآسيا، وقد سمّاها أهلها جزيرة لأنّ الماء يدور بها من ثلاث جهات في جنوبيها وغربيها وشرقيها، فهي شبه جزيرة، وليس في الأرض شبه جزيرة تضاهيها في المساحة. "[3]

" ويُقسّم جغرافيو العرب الجزيرةَ إلى خمسة أقسام هي: تهامة والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن. وتُعدّ تهامة المنطقة الساحليّة الضيّقة المُطلّة على بحر القلزم أو البحر الأحمر، وتسمى الجنوب باسم تهامة اليمن. "[4]

" ويطلق على الحجاز الجبال الحاجزة بين الأرض العالية نجد، وبين السّاحل الواطئ تهامة."[5]

"و يقع إقليم نَجْد في المنتصف تقريبا من جزيرة العرب، بين إقليم الحجاز الذي يقع إلى الجهة الغربية منها، وبين صحراء الدّهناء. الّتي تقع إلى المنطقة الشرقيّة منها، أمّا اليمامة

---

1-ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط11، 2008م، ص38.

2-صفي الرحمن المبار كفوري، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د ط، 2007م، ص56.

3-شوقيضيف،تاريخالأدبالعربيالعصرالجاهلي،دارالمعارف،مصر،ط11، 2008،ص17.

4-المرجع نفسه، ص18.

5-أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، مصر، د ط، 2003، ص20.

فهي عبارة عن هضبة ترتفع فوق سطح البحر ما بين 700 م إلى 1500 م "[1] إقليم العروض أحد أقاليم شبه الجزيرة العربيّة الجغرافيّة الرئيسيّة، ويقع شرق شبه الجزيرة العربية، "[2]

"اليمن إقليم يقع في الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ما بين خليج عمان والبحر الأحمر غربا"[3]

**الحياة الثقافية و الاجتماعية في العصر الجاهلي:**

**الحياة الثقافيّة في العصر الجاهلي:**

لم يكن العرب بمعزل عن الحضارات والتطوّرات التي كانت تحيط بهم، فالظروف الّتي كانوا يعيشونها في شبه الجزيرة العربية لم تمنعهم من التطور، فقد " ارتقت الحياة الفكريّة في العصر الجاهلي بشكل ملحوظ، ووصلت إليهم العلوم والمعرفة عن طريق التجارة، بالإضافة لبعض الإمارات العربية المجاورة لحدود بيزنطة وفارس، كالأنباط والغساسنة والمناذرة، ومنها أيضا ما وصلهم عن طريق الجاليات المسيحيّة .الّتي استقذرت في مدن الحجاز مثل مكة ويثرب ونجران. "[4]

" من الآثار الثقافيّة المُهمّة الّتي نتجت عن سفر أهل مكّة إلى الحيرة ،نَقْل أحرف الهجاء منها. ممّا أدّى إلى نشوء الخطّ الكوفي، كما برع الجاهليّون بالشّعر والنثر والخطابة، واعتمدوا في ذلك على سليقتهم ولغتهم الجزلة القويّة، فبلغوا درجة لا يُستهان بها من التطوّر الفكريّ، جعلتهم يقولون أجمل الكلام، ويسبكون الجُمل أفضل السّبك، ويحسنون قواعد الكلم أيّما إحسان، من نحو وبلاغة ولفظ مناسب للمعنى الذي وضع له ."[5]

1-أين تقع نجد، موقع موضوع، mawdoo3.com، 28 جانفي 2023، 20:50.

2-ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، ط2، 1995م، ج2، ص219.

3-المرجع نفسه، ص447.

4-ينظر: توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط2، 1996م، ص271.

5-ينظر: المرجع نفسه، ص271.

كما يمكن القول أنّ الحياة الفكريّة لعرب العصر الجاهلي، تتّسم بعدّة سمات من أهمّها "أنّ العرب لم يكونوا مُهتمّين بتعليل الأحداث منطقيّا، وهذا ما أدى إلى انتشار الكَهَنة في قبائل العرب، وارتبط خيال الجاهليّين ببيئتهم البسيطة الطبيعيّة."[1]

1-ينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط10، 1969، ص39-40.

**بالحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي:**

" لقد كان المجتمع الجاهلي يتألف من ثلاث طبقات، الطبقة الأولى هي طبقة أبناء القبيلة، وتضمّ هذه الطبقة من كان بينهم صلة الدم، والطبقة الثانية طبقة العبيد، وهم من جُلبوا من الدّول المجاورة للخدمة، أما الطّبقة الثالثة فهم الموالي، وهؤلاء يكونون قد نفتهم قبائلهم بسب ارتكابهم لجرم ما، وكان أبناء القبيلة الواحدة يتحلون بالتضامن، بالإضافة إلى بعض القيم والأخلاق ، كالكرم والوفاء ورعاية الجار، والشجاعة والقوة، ونصرة الملهوف ."[1]

وقد انقسم العرب الجاهليّون إلى قسمين: بدو وحضر، وكان البدو هم القسم الغالب على عرب الجاهليّة، " فأمّا البدو فكانوا لا يزالون يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة، إنّما يعيشون على ما تنتجه ماشيتهم، ويعتمدون في حياة ماشيتهم على مواسم المطر، كما تعاملوا من طريق البدل، يستبدلون بالماشية ونتاجها ما يتطلبون من تمر ولباس. "[2]

كما اتخذوا وسائل أخرى للعيش، " وهي الغارة والسّلب على القبائل المعادية ."[3]

أمّا الحضر فهم " أرقى من ذلك كثيرا، يسكنون المدن ، ويعيشون على التجارة والزراعة، وقد أسّسوا قبل الإسلام ممالك ذات مدنيّة كاليمن، والغساسنة في الشام، واللخمين في العراق. "[4]

1-ينظر :شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط11، 2008، ص67.

2-أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط10، 1969، ص9.

3-المرجع نفسه، ص9.

4-المرجع نفسه، ص11.

**الشعر الجاهلي:**

أمّا مراكز الشّعر العربي في العصر الجاهلي، فبالإضافة إلى الجزيرة العربية نفسها: نجدًا وحجازًا، فقد عاش الشعر العربي ، وازدهر في إمارتين اثنتين هما: إمارة الغساسنة والمناذرة، وقد قامتا في الأطراف الشماليّة من شبه الجزيرة.

أما إمارة الغساسنة، فقد قامت في بلاد الشام، حيث اتّخذ الرومان، ثم خلفاؤهم البيزنطيّون من بعدهم، من الغساسنة حلفاء لهم ضد أعدائهم التقليديين من الفرس، وحلفائهم من المناذرة في العراق. وقد كان الغساسنة عربًا من الجنوب نزحوا إلى الشمال، وأقاموا إمارتهم العربية تلك في شرق الأردن، وكانوا قد تنصّروا في القرن الرابع الميلادي. وكانت إمارة الغساسنة على جانب كبير من الثراء والتحضّر، ومن أهم ملوكهم الحارث الأصغر، ثم ابناه من بعده النعمان وعمرو، والأخير هو الذي قصده النابغة الذبياني، كما قصد حسان بن ثابت النعمان بن المنذر أيضًا ومدحه في قصائد شهيرة، منها قصيدته الّتي من أبياتها:

أولاد جَفْنة حول قبر أبيه مقبر ابن مارية الكريم المفضِلِ

وكما قامت إمارة الغساسنة في الشام، فقد قامت إمارة المناذرة في العراق. وكما كان الغساسنة عربًا ذوي أصولٍ يمنية، فكذلك كان المناذرة. ومثلما قصد شعراءُ الجزيرة أمراءَ الغساسنة، فكذلك قصدوا أمراءَ المناذرة، الذين كان من أشهرهم المنذر بن ماء السماء حوالي (514 – 554م)، وعمرو بن هند (554 – 569م) الذي ازدهرت الحركة الأدبيّة في أيّامه، وقد وفد عليه في الحيرة، حاضرة المناذرة، عمرو بن قميئة والمسيَّب بن عَلَس والحارث بن حِلِّزة وعمرو بن كلثوم. كما وفد النابغةُ الذبياني على أبي قابوس النعمان بن المنذر الرابع (580 – 602م)، ووفد عليه أيضًا أوس بن حجر والمنخل اليشكري ولبيد والمثقِّب العبدي وحجْر بن خالد. ولا شكّ أنّ طبيعة المُنافسة السياسيّة بين المناذرة التابعين لدولة فارس والغساسنة الموالين للبيزنطيين ، قد انعكست على الحياة الأدبيّة على نحوٍ ليس بالقليل.

ازدهر الشعر العربي، إبان الجاهلية، ازدهارًا عظيمًا تمثّل في هذا العدد الكبير من الشّعراء الذين تزخر المصادر بأسمائهم وأشعارهم، إذ نظموا في جاهليتهم الأخيرة قبل الإسلام كثيرًا من الشِّعر. ومع هذا فقد ضاع مُعظم هذا الشّعر، على حدّ قول أبي عمرو بن العلاء : "ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علمٌ وشعر كثير". وقد اشتهرت في الجاهلية بيوت كاملة بقول الشعر، فالنعمان بن بشير، مثلاً، كان أبوه وعمه شاعرين، وكذلك جدّه، ثمّ أولاده من بعده. وكعب بن مالك الصحابي الشّاعر كان أبوه وعمّه شاعرين، ثم أبناؤه وأحفاده، وكذلك كان أمرُ بيت أبي سُلمى، ومنه زهير وولداه كعب وبُجير، وأخوال كعب شعراء، ومنهم بشامةُ ابن الغدير. ثم هناك حسّان بن ثابت الصّحابي الشاعر، وقد تسلسل الشعر في بيته لبضعة أجيال.

عرف تاريخ الشعر العربي، في العصر الجاهلي، نساءً شواعر منهنَّ على سبيل المثال: الخنساء وخِرْنَق وكبشة أخت عمرو بن معْدي كَرِب وجليلة بنت مُرَّة امرأة كُليب الفارس المشهور، ولها في كليب مراثٍ من عيون الشعر العربي، وقيسه بنت جابر امرأة حارثة بن بدر ولها أيضًا مراثٍ في زوجها، وأميمة امرأة ابن الدُّمَيْنة. وقد كان أبو نُواس الشاعر العباسي يروي لستّين شاعرة من العرب.

والنّاظر في المصادر العربيّة تهوله تلك الكثرة من الأشعار والشعراء خاصة إذا ضَمّ إليها ما جاء في كتب التاريخ والسير والمغازي والبلدان واللغة والنحو والتّفسير، إذ تزخر كلّها بكثير من أشعار الجاهليّين بما يوحي أنّ الشّعر كان غذاء حياتها، وأنّ هذه الأمة قد وهبت من الشاعريّة الفذّة ،ما يجعل المرء يتوهّم أن كلّ فرد من رجالها ونسائها وعلمائها كان يقول الشّعر. وتدلُّ هذه الكثرة من الشعر والشعراء على أنّ الشاعريّة كانت فطرة فيهم، ثم ساندت هذه الفطرة الشاعرة عواملُ أخرى منها تلك الطبيعة التي عاش العربي الأوّل كل دقائقها من جبال ووهادٍ ووديان وسماء ونجوم وأمطار وسيول وكائنات. لقد كانت الطبيعة كتابًا مفتوحًا أمام بصر الشاعر العربي وبصيرته، ومن هنا استلهمها في أشعاره. ويُضاف إلى الطبيعة تلك الحروب التي ألهبت مشاعره بحماسة مواره، ثم حياة الإنسان العربي في بساطتها

وفضائلها، وفي معاناته وصراعاته ضد الجدب والخوف معًا. ومن ثم جاء هذا الشعر ممثلاً لحياة الجزيرة العربية في بيئاتها وأحوالها المختلفة، ولحياة الإنسان العربي في أخلاقه وطباعه وعاداته وعقائده وبطولاته وأفكاره.

كانت للشّاعر العربي في قبيلته منزلة رفيعة. كما كانت رموز القبيلة العربية الأساسية ثلاثة، هي: القائد، والفارس والشاعر. وكان الشاعر في القبيلة لسانها الناطق والمدافع

معًا. بل كان بيت الشعر أحيانًا يرفع من شأن قبيلة، كما يُحكى عن بني أنف الناقة الذين كانوا يعيَّرون بلقبهم، حتّى كان الرّجل منهم يحتال على إخفاء لقبه، فما إن قال فيهم الحطيئة بيته الشّهير:

قومٌ هم الأنف والأذناب غيره مومن يُسوِّي بأنف الناقةِ الذنبات

حتى صاروا يباهون بلقبهم ونسبهم

يُعدُّ الشعر العربي الجاهلي سجلاً حقيقيًا للحياة العربية والعقل العربي في ثقافاته وخبراته الحيّة والمتنوّعة، و كان النموذج والمثال الذي يحتذي به اللاحقون. حيث إنّه حفظ للأمّة العربيّة أصالتها، ولكنه لم يحُلْ قَطُّ دون محاولات التطوّر والتّجديد في مختلف العصور. وصار مع قرينه الشّعر الإسلاميّ مصدرًا أساسيًا في حركة التّأليف فالعلوم العربيّة والإسلاميّة: لغةً ونحوًا وبلاغةً وتفسيرًا، كما انبثق عنه علم العروض والقوافي، وهو أوثق العلوم صلةً بالشّعر، فضلاً عن كتب المختارات الشعرية على اختلاف مناهجها، ثم تلك الشروح التي أضاءت النصَّ الشعري أمام قارئه، وبدّدت عامل الغرابة اللغويّة، وغذت الأذواق، بل وأبقت على قريحة الشاعرية العربية، على تباين في مستوى تلك القرائح: أفرادًا وأقاليم وعصورًا. واشتهرت في الأدب الجاهليّ قصائد عُرفت بالمُعلّقات هي من النّماذج الرّائعة في الأدب العربي.

**النثر الجاهلي:** عرف العصر الجاهلي ضروبًا من النثر تمثّلت في الخطابة، التي لم تكن أقل

منزلة من الشعر، وإن لم يتوفَّر من نصوصها الموثّقة سوى القليل النّادر، مثل خطبة قُس بن ساعدة الإيادي على ناقته، وقد أدركه النبي ³، وسمع خطبته تلك. وتدلُّ المصادر الأدبيّة،

الإيادي على ناقته، وقد أدركه النبي ³، وسمع خطبته تلك. وتدلُّ المصادر الأدبية، وبخاصة كتاب البيان والتبيين للجاحظ، على كثرة ما كان في العرب من الخطباء، ومنهم، على سبيل المثال، عدا قس بن ساعدة: سحبان وائل، وأكثم بن صيفي، وعمرو بن كلثوم أحد شعراء المُعلّقات، وذو الإصبع العَدْوانيّ، وزُهير بن جناب، وعامر بن الظَّرِب، وهانئ ابن قَبيصة الشيباني. ومثلما كان لكل قبيلة شاعرها، كان لها أيضًا خطيبها. وكما دلَّ فنّ الشّعر على خصوبة الخيال ورقّة الوجدان، فالخطابة أيضًا تدلُّ على جودة البديهة، وخصوبة الذهن، وجيشان المشاعر، بحيث يتمكّن الخطيب من الإقناع الذهني والاستمالة الوجدانية.

وقد خطب العرب في وفادتهم على الأمراء، وفي الأسواق الحافلة بالناس، وفي الحرب، وفي السّلم، والزواج، وسائر المناسبات الكبرى في حياة القبيلة. كما اشتهر من خطبهم ما عُرف بسجع الكُهّان. كذلك عرفت العرب في جاهليّتها فن الأمثال، وهي تعكس الكثير من قيم الحياة والشخصيّة العربيّة في العصر الجاهلي، بما حملته من فكر وخبرات، وبما ارتبطت به من الحكايات الطّريفة، ونماذجها في كتب الأمثال، وأشملها "مجمع الأمثال "للميداني. هذا إلى ما تميزت به لغة المثل من إيجاز بليغ، وإيقاع جميل.

عرف العرب في العصر الجاهلي فنونًا أخرى من النثر، تمثلت في القصص والأخبار، وشملت قصص الأقدمين وأخبارهم، فضلاً عن قصص الأمثال، وأيام العرب انظر: أيام العرب. وكذلك قصص الجنّ. وهذا القصص جميعه وإن امتزج بمسحة من الخيال الأسطوريّ والخرافي، إلا أنّه يُمثّل تراثًا أدبيًا دالاً على إمكانات العقل العربي، وطابع البيئة والحياة.

## المحور الثاني :الشعر الجاهلي خصائصه وموضوعاته

" يقول أبو الهلال العسكريّ: إنّما كانت أقسام الشّعر في الجاهليّة خمسة: المديح والهجاء والوصف والتّشبيه ولمراثي، حتىّ زاد النابغة فيها قسما سادسا وهو الاعتذار فأحسن فيه، وهو تقسيم جيّد غير أنه نسى باب الحماسة، وهو أكثر موضوعات الشعر دورانا على لسانهم ."

كما أنّ هناك تقسيما آخر يرى بأنّ " للشعر الجاهلي أغراض رئيسية مستقلة وهي الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرّثاء، وأغراض إضافيّة غير مُستقلّة، كالغزل والطّبيعة والخمريات والحكم والمواعظ ."

موضوعات الشعر الجاهلي:

المدح:

" كان للشاعر منزلة عالية مهيبة بين قبيلته، والقبائل الأخرى، حتى أخذ الناس يتقرّبون إلى الشّعراء، ويحاولون كسب رضاهم، خوفا من لسع سياط ألسنتهم الحادّة، فالشاعر قادر على رفع الوضيع، وإشهار المغمور، وفي الوقت نفسه يستطيع الحط من قيمة الشريف، وهدم مجد المعروف النسب والحسب "

" المدح هو الثناء على شخص أو جماعة، والتّغني بما لديهم من مزايا، وشمائل كريمة، نشأ في أول أمره حبا للفضيلة، وإعجابا بصاحبها، ثم تطوّر بفعل السياسة

فتحول إلى مجال للتكسّب "

" وأشهر من مدح زهير بن أبي سلمى، بشهادة معاوية الأحنف بن قيس عندما سُئل عن أشعر الشعراء فقال زهير، قال وكيف ذاك؟ قال كفّ عن المادحين فضول الكلام "

" يقول زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف:

وفيهم مقامـات حسان وجوههم وأندية ينتابها القـــــــول والفعل

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلـــين السماحة والبذل

وإن جئتـهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل "

الهجاء:

" هو تعداد لمثالب المرء، وقبيلته، ونفي المكارم والمحاسن عنه، وهو ضدّ المدح، فبينما نرى المادح يبرز فضائل الممدوح، نرى الهجّاء يسلب هذه الفضائل، ولذا قال بعضهم كلّما كثرت أضداد الممدوح في الشعر كان ذلك أهجى له ."

" والهجاء ضد المدح، فهو تعبير عن عاطفة السّخط تجاه شخص تكرهه أو

جماعة تبغضها "

ونجد من الهجاء " هجاء طرفة بن العبد لصهره لتصرفه السيّء مع أخته:

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أهضما "

الغزل:

" هو تعبير عن عاطفة أصيلة في الإنسان، وقد جرى مجريين: غزل عفيف انتشر أكثر في البادية، وكان عُذريّا معنويّا لا حسيّا، يُعبّر الشّاعر من خلاله عن عواطفه، وأحاسيسه تجاه حبيبته، ومن الشعراء العُذريين جميل بن ربيعة، وعنترة بن شدّاد، فغزلهم هو وصف للحبيبة، بكلّ ما هو ثمين وجميل في أعينهم، فهم يصوّرون الحُبّ بلغته الواقعيّة، ومن الغزل ما هو حقيقيّ وما هو خيالي، ومنه العفيف، والإباحي. و قد سُمّي العفيف عُذريّا لأنّه شاع في بني عذرة. "

" وهناك غزل آخر هو الغزل الماجن الحسيّ، الذي انتشر أكثر في الحواضر. حيث يُصوّر فيه الشاعر حبيبته تصويرا حسيّا واصفا جسمها وأعضاءها، وزعيم هذا الغرض هو امرؤ القيس حيث يقول:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالجنجل "

الفخر:

" هو توابع العصبيّة، والحياة القبليّة، وكان الشّاعر يفتخر بقومه أوّلا، وبنفسه ثانيا، وكان الجاهليّون يفتخرون بالنّسب الأصيل الشريف، وكثرة العدد والمال، والأخلاق الفاضلة والكريمة، والتّغني بالفضائل والمُثل العليا، والتّباهي بالفعال الطيّبة، والسّجايا النفسيّة، والصفات القوميّة، وقد يشعر الإنسان بالارتياح والسّعادة عندما يتحدّث عن خصاله وفعاله " . وأشهر قصيدة في الفخر هي لعمرو بن كلثوم يقول فيها:

" أبا هند فلا تعجل علينا وأنضرنا نخبرك اليقينان

بأنا نورد الرايـــات بيضا ونصدرهن حـــــمرا قد روينا

وأيام لنـــــا غير طوال عصينا الملـــك فيها أن ندينا

وسيد معشـــر قد توجوه بتاج الملك، يحمي المحجرين

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتـــــــــها، صفونا "

الوصف:

" هو شرح حال الشّيء، وهيئته على ما هو عليه في الواقع، لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به "

فالعرب قديما وصفت كل ما وقعت عليه أعينهم مثل: الناقة والرحلة وغيرها ....

ومن الوصف نجد وصف عمرو بن كلثوم للخمر بقوله:

" ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرين

مشعشعة كأن الحـــص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

تجور بذي اللبــانة عن هواه إذا ما ذاقها، حتى يلينا

ترى اللحن الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينـا

وأنا سوف تدركنا المـــــنايا مقدرة لنا ومقـــــدرينا "

الاعتذار:

" يرى بعض العلماء أن هذا الغرض أحدث الأغراض الشعريّة في العصر الجاهلي، وأنّ أوّل من ابتدعه النّابغة الذبياني، والحقّ أنّ النابغة يُعدّ فارس هذه الحلبة بلا منازع، والشّاهد على اعتذاراته للنّعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة " قصيدة يقول فيها:

" أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ لُمْتَنِـي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَـبُ

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْنَنِـــي هَرَاسًا بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي وَيُقْشَــبُ

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَـــةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَــبُ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَـةً مبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْـــذَبُ

وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِيَ جَانِـــبٌ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُـــمْ أُحَكَّمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَـــــرَّبُ

كَفِعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُــوا

فَلَا تَتْرُكَنِّي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِـــي إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سَـوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلكٍ دُونَهَا يَتَذَبْـــذَبُ

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِـبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَـبُ

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتِـبُ "

الحماسة:

" ذكر القتال وما يتبعه من ضروب النزال، والكر والفر، وحمى الديار والجار ." كما يرى بعض النُقّاد أنّ الحماسة من أهمّ الأغراض الّتي طرقها الشّعراء الجاهليّون، فقد احتلّت مساحة واسعة من قصائدهم، كيف لا والعربيّ يرى أنّ الشّجاعة، وخوض الحروب أسمى آيات الرّجولة، لأنّه يعيش في بيئة مليئة بالمخاطر، ولذا يبقى دائما متحفزا فطنا.

يقول عمرو بن كلثوم في الحماسة:

" قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُـــــــم قُبَيْلَ الصُّبْحِ مرداه طَـــحُوْنَا

نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْـــــهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونا

نطاع مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسّيُوْفِ إِذَا غُشِيْنَا

بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ لُـــدْنٍ ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيْضٍ يَخْتَلِيْنا

كَأَنَّ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيْـــهَ وُسُوْقٌ بِالأَمَاعِزِ يرتمينا

نَشُقُّ بِهَا رُؤُوْسَ القَوْمِ شَقًّـــا وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فتختلينا

وَإِنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدفينات

وَرِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَـتْ مَعَدٌّ نطاع دُوْنَهُ حَتَّى يَبِيْنَـــــا

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الحَيِّ خَرَّتْ عَنِ الأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِيْنَا

نَجُذُّ رُؤُوْسَهُمْ فِي غَيْرِ بِـــرٍّ فَمَا يَدْرُوْنَ مَاذَا يَتَّقُوْنَـــــا "

الرّثاء:

" فن أدبيّ يُعبّر به الشاعر عن خلجات قلب حزين، تتّسم منه حسرات حرى وآهات موجعة إثر موت حبيب عزيز، يعتمد الشاعر في ذلك إلى بكاءه و التفجّع عليه "

و تُعدّ الخنساء من أشهر شعراء الرّثاء وقد تأتّى ذلك لسببين:

*قدرتها على تصوير فاجعتها بأخويها معاوية وصخر تصويرا يأخذ بمجامع القلوب، مع ذكر مناقب المرثية.

*ما وُهبت من عبقريّة في النّغم، حيث تنساب ألفاظها انسيابا ساحرا فيّاضا من الموسيقى الداخليّة كما في قولها:

يُؤَرِّقُني التَذَكُّرُ حينَ أُمسي فَأُصبِحُ قَد بُليتُ بِفَرطِ نُكسِ

عَلى صَخرٍ وَأَيُّ فَتىً كَصَخر لِيَومِ كَريهَةٍ وَطِعانِ حِلسِ

وَلِلخَصمِ الأَلَدُّ إِذا تَعَدّى لِيَأخُذَ حَقَّ مَظلومٍ بِفَنسِ

فَلَم أَرَ مِثلَهُ رُزءً لِجِنٍّ وَلَم أَرَ مِثلَهُ رُزءً لِإِنسِ

أَشَدَّ عَلى صُروفِ الدَهرِ أَيداً وَأَفصَلَ في الخُطوبِ بِغَيرِ لَبسِ

وَضَيفٍ طارِقٍ أَو مُستَجير يُرَوِّعُ قَلبُهُ مِن كُلِّ جَرسِ

فَأَكرَمَهُ وَآمَنَهُ فَأَمسى خَلِيّاً بالُهُ مِن كُلِّ بُؤسِ

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشَمسِ صَخراً وَأَذكُرُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمسِ

وَلَولا كَثرَةُ الباكينَ حَولي عَلى إِخوانِهِم لَقَتَلتُ نَفسي

وَلَكِن لا أَزالُ أَرى عَجولاً وَباكِيَةً تَنوحُ لِيَومِ نَحسِ "

الحكمة:

" الحكمة في الجاهلية هي صدى للتأملات، وآراء صائبة، تصدق في الواقع، أو توافق الواقع." وهي قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما به، نميز من خلالها بين الخطأ والصواب ، وبين الفضيلة والرذيلة، وترشدنا إلى سواء السبيل.

ومن الحكمة قول حاتم الطائي:

" وَكِلمَةِ حاسِدٍ مِن غَيرِ جُرمٍ سَمِعتُ وَقُلتُ مُرّي فانفدين

وعابروها عَلَيَّ فَلَم تَعِبنـــــي وَلَم يَعرَق لَها يَوماً جَبينـــي

وَذي وَجهَينِ يَلقاني طَلَـــيقاً وَلَيسَ إِذا تَغَيَّبَ يأتيني

نَظَرتُ بِعَينِهِ فَكَفَفتُ عَـــنهُ مُحافَظَةً عَلى حَسَبي وَديني "

## 2.الخصائص الفنيّة للشعر الجاهلي:

الشعر الجاهلي الوسيلة المثلى للتعبير عن أحاسيس وعواطف الشاعر في تلك الحقبة، فهو متميّز، بانفراده بجملة من الخصائص المعنويّة واللفظيّة يمكن توضيحها كالآتي:

**الخصائص المعنوية: وتتمثل فيما يأتي:**

الصدق:

" الصّدق في الشعر أن يُعبّر الشاعر عمّا يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه، وألا يتكلّف في إيراده بقطع النّظر عمّا إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أو لم تقع أو كان مبالغا فيها "

**النزعة الوجدانية:**

" وهي خاصية أخرى من خصائص الشعر الجاهلي، فالشاعر الجاهلي يندرج في قبيلته حتى إذا نظم فهو ينظم بحرقة قلبه، ووجدانه وعاطفته التي تجذب به نحو قبيلته "

**البساطة:**

" وفيها يُقدّم الشاعر المعاني مُنكشفة حسيّة واضحة، لا يقف بينك وبينها أي غموض أو أشراك ذهنية تضل في ممراتها وشعبها الفكرية. "

الإطالة والاستطراد: أثّر على الجاهلية مقطوعات كان أكثرها في الأصل قصائد طول الحياة، فكان يحمد في الشاعر أن يكون طويل النفس، أي أنه يطيل القصائد "

لذلك زعم النُقّاد أن الاستطراد هو أساس الشعر الجاهلي، فقد كان الغالب على طبع الجاهلي الميل إلى الإطالة في تلك القصائد.

الخيال: " أدى اتساع أفق الصحراء إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي، فتشبيهاته كان ينتزعها من عالمه المادي كتشبيهاته للمرأة، فهو يشبهها بالشمس تارة، وتارة أخرى بالبدر، والظبية وغيرها من التشبيهات " أو بأشياء طبيعية موجودة أمامه.

بالخصائص اللفظيّة: وتتمثّل فيما يأتي:

الغرابة في الألفاظ وجزالتها:

" يمتاز الشعر الجاهلي بغلبة استعمال الألفاظ الجزيلة، واستعمال الألفاظ العربية التي هجرت عند المحدثين ." فكلماته في أكثرها غريبة غير مألوفة، لأن ممارسة الشاعر الجاهلي للحياة كانت في الخيام، وعلى الإبل.

متانة التركيب:

" والتّركيب في الشعر الجاهلي متين، أي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية، لا ضعف فيه، فكانت تراكيبه بليغة تؤدي المعاني المقصودة منها "

و هذا ما عهدناه في الشعر الجاهلي من متانة في الأسلوب والتراكيب وحسن إيراد المعنى إلى النفس.

التّنقيح والتهذيب:

" ما يقع في الغالب بحضور عدد آخر من الشعراء المحترفين للشعر المُتفنّنين فيه، فإذا هو لم يُهيّئ شعره من قبل ،ولم يعرضه على أحد ،ولم يتفنّن فيه، ويأتي فيه بغرائب الفنون، ضاع شعره بين بقيّة الأشعار. فهو مُضطرّ إذن إلى إعداد شعره إعدادا حسنا قبل إنشاده أمام الممدوح، و تشذيبه لينال المكانة المرجوّة بين الأشعار.

ونجد في شعر ينسب إلى أمرئ القيس، يذكر فيه أنّ المعاني كانت تنثال عليه، فكان يعمل رأيه فيها، فيؤخّر ويُقدّم، ويتخيّر ما يستجاد من غرر الأبيات:

أذود القوافِيَ عني ذيدا الياد غلام جريء جودا

فلمّا كثرن وعنـــــــينه تَخَيَّر منهن سِتًّا جيـادا

فأعزل مرجانها جانبًا وآخذ من درها المستجادان "

## المحور الثالث :مضامين الشعر الجاهلي وعلاقاتها بالواقع

" الشعر الجاهلي مرآة انعكست فيها كل مظاهر الحياة العربيّة، فقد مثّل البيئة خير تمثيل، تناول كل جانب من جوانب البادية فتحدّث عنه بالتّفصيل، صوّر ما فيها من جبال ووهاد وطرق ممتدّة ومرابع خُضْر، ونبات زاه، ووصف الآثار والدّمَن، كما وصف السّحب و الأمطار والسّيول ومدافع المياه، رَسَم مشاهد كثيرة لحيوانها، وقصّ بكل حيوان قصّة، صوّر حال هذه الحيوانات في طردها وقتالها، في أمنها وفي خوفها، صوّرها قطعانا مجتمعة، وأفرادا عازبة، واستعار منها تشبيهاته وصوره، تحدّث عن المنازل والدّيار، كما تحدّث عن ارتحال أهلها، ووَصَف قوافلهم، وهوادج نساءهم، وتابعها في سيرها، فرسم مخططا لسيرها، مبينا المواضع التي تنزل فيها، والأماكن التي تمر بها، ولم ينس أن يصف ما خلف الضامنون من الحجارة والنؤى والأثمان والثمام " 1

" ولم يغادر الشّعر جانبا من جوانب الحياة البدويّة إلّا تحدّث عنه، وسجّله وصوّره، ولذلك نجد فيه صورة للعصر صادقة، في الحرب والسّلم، في مُثله العُليا وعاداته وطبيعة أهله، وصف خير العصر وما فيه من نعمة وبركة، كما وصف بؤسه وشقاءه، وما ينزل به من جدب وقحط، صور حرّ الهاجرة ولفح السّموم، كما صوّر ريح الشّمال وجمد الشتاء الذي يخرس الناس ويكفتهم في بيوتهم "2

" ولا يشذّ عن ذلك إلّا القليل النّادر، وهذا القليل كان من اتّصال بعض الشّعراء بأسباب الحضارة، ومن وفادتهم على ملوك الحيرة أو ملوك الشام أو اليمن، وتجد ذلك واضحا في

شعر الشعراء الذين يفدون إلى الحاضرة كالأعشى والنابغة الذبياني وحسان بن ثاب توأمية بن أبي الصلت "3

### 1.الواقعيّة والوضوح:

1-يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص171.

2-المرجع نفسه، ص171.

3-يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص172.

" تعلّق الشّعر الجاهلي بالواقع تعلُّقا يجعل منه صورة مُنعكسة عن هذا الواقع انعكاسا أصيلا، ويترك له من الدلالة وقوة الأداء عن النفس ما لا سبيل إلى التعبير عنه بسواه من أساليب التعبير "1

" الشعر الجاهلي من حيث معانيه وأخيلته ولغته، يدلّ على رقيّ عقليّ وصفاء ذهنيّ، وعناية فنية ومهارة في صناعة الشعر وصياغة معانيه وصوره، فمنه البسيط الواضح الذي يلائم الفكرة والطبيعة الصحراويّة، ومنه المركب المعقّد المغرق في الخيال الذي

هو نتاج الحضارة والمدنيّة "2

" ومن مظاهر البساطة في الشعر الجاهلي الصّدق في التّعبير، وهي نقل الصور والمشاهد نقلا يكاد يكون أمينا، وبخاصة حين يذكرون المواضيع ويناجون الدّيار، وحين يفخرون أو يرثون فلا يبالغون في الخيال ولا يسرفون في التصور"3

**2.مواضيع الواقع في الشعر الجاهلي:**

**الأطلال:**

" يمكننا باستقراء شعر الأطلال أن نعرفها بأنها بقايا الديار حيث أن نستقصيها ونصنّفها في ضربين اثنين هما: الرّسوم و الأطلال . الرّسوم هي البقايا التي تكون على الأرض، وتظهر لاصقة بها كبقايا الرّماد والدّمن وما تناثر من الفرش. أمّا الأطلال وهي البقايا التي تظهر شاخصة ماثلة فوق الأرض كالأوتاد والأثافي، وبقايا الخيام، والأطلال واحدها طلل، وهو ما شخص وبرز فوق الأرض من آثار الديار "4

" وقد اتّبع الشعراء في وصفهم هذه البقايا طريقتين اثنتين:

1-نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي، مطبعة دار الكتب المصرية، د ط، 1950م، ص63.

2-يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص179.

3-يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص179.

4-عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، مطبعة الترقي، سوريا، د ط، 1968م، ص25.

الأولى هي الطريقة المباشرة في الوصف، ويعمَد الشاعر فيها إلى ذكر الدّيار، وتعداد بقاياها، دون أن يلجأ إلى مُخيّلته، ليستمدّ منها بعض الصّور الفنيّة يشبّه بها هذه البقايا.

أمّا الثانية فهي الطريقة البيانيّة في الوصف، ويعمَد الشّاعر فيها إلى البيان بمعناه البلاغي، وهو الوصف والتّصوير عن طريق التّشبيه والاستعارة وما إلى ذلك "1

" قال المرقش الأكبر في ذلك:

هل بالدِّيار أنْ تجيبَ صممْ لو كان رسمٌ ناطقاً كلَـــّمْ

الدّارُ قفرٌ والرُّسومُ كـــــما رقشَ في ظهرِ الأديمْ قلمْ

ديارُ أسماءَ التي تبلَـــــتْ قلبِي فعينِي ماؤُها يسـجَمْ "2

**الصّحراء:** تناول الشعراء الجاهليون الصحراء وما تحويه في أشعارهم، لأن أغلبهم بدو عاشوا في بيئة صحراوية.

ويمكن تقسيم الصحراء وما تحويه إلى:

**الطّبيعة المُتحرّكة الحيّة:**

" عرفت البيئة الصحراويّة العربيّة أنواعا كثيرة من الحيوانات والطّيور، ونالت قسطا وافرا في أشعارهم، فقاموا بوصفها وبيان أحوالها وظروفها وعاداتها، والتأمّل في حركاتها وصراعها مع من حولها من أجل الحفاظ على نفسها في كل الظروف الطبيعيّة لبيئتها الصحراويّة "3

ومن الحيوانات التي لاقت اهتماما كبيرا لدى الشاعر الجاهليّ، نجد الفرس والناقة لأنهما رفيقتاه في ترحاله المستمرّ.

" يقول طرفة بن العبد واصفا الناقة:

---

1-المرجع نفسه، ص25-26.

2-عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، مطبعة الترقي، سوريا، د ط، 1968، ص27.

3-محمد صديق حسن عبد الوهاب، الصحراء في الشعر الجاهلي (رسالة دكتوراه)، جامعة أم درمان الإسلامية، 2007-2008م، ص137.

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي "1

" وجاء ذكر الحمامة والظبي واللّيث والناقة والفرس والغراب والثور الوحشيّ والصّقر والنّعامة...، فقاسمت هذه الحيوانات الطّبيعة الصحراويّة مع الإنسان، وتفاعلت معه، فعاشت في الوديان والوهاد والكثبان والتلال والجبال والسهول والمنخفضات "2

" يقول النابغة الذبياني في إحدى قصائده ذاكرا الثور الوحشيّ:

كأنّما الرّحل منها فوق ذي جدد ذب الرياد إلى الأشباح نـــــــظار

مطرد أفردت عنه حلائـــــله من وحش وجرة أو من وحش ذي قار "3

**الطّبيعة السّاكنة الصّامتة:**

" اهتم الشّعراء بالصحراء أيّما اهتمام .كيف لا وهي الموطن والنّشأة والحياة، فصاغوا أشعارهم على وحيها، وبدّدوا ظلم اللّيالي وقسوة الحياة بقصائدهم، فأتت صورة فنيّة تحمل عبق الأرض وراحة الرّمال والكثبان، ووصفوا السّماء وصوت الرّعد ووميض البرق وهدير الرّياح، وبعد السراب، وعتمة اللّيل وبريق النجوم وحفيف الأشجار والحشائش "4

" وللجبال الكثير من المعاني والصّفات المُستمدّة منها ،كالعظمة والرّفعة والقوّة والثّبات والصبر، وهي معالم بارزة وشواهد وذكريات للشّعراء في الصحراء، وقد ذُكر:

" كما كانت الجبال ملاذا للصّعاليك، ولذلك كَثُر حديثهم عنها، ويُصوّر أحدهم جلسته في قمّة جبل يترصّد ويترقّب حيث يقول:

ومرقبة يحار الطرف فيـــها تزل الطير مشرفة الـقذال

ولم يشخص بها ترقى ولكن دنوت تحدر المـــاء الزلال

أقمت بريدها يوما طويـــلا ولم أشرف بها مثل الخيال

---

1-محمد صديق حسن عبد الوهاب، الصحراء في الشعر الجاهلي (رسالة دكتوراه)، جامعة أم درمان الإسلامية، 2007-2008م ، ص137.

2-المرجع نفسه ، ص137.

3-المرجع نفسه، ص138.

4-المرجع نفسه، ص157.

ومقعد كربة قد كنت فيـــها مكان الإصبعين من القيال "1

**الحروب والغارات:**

" كان البدوي الجاهليّ يعيش في بيئة صحراويّة قاحلة في شبه الجزيرة العربية، وكانت أرضا غير صالحة للزراعة، لعدم وجود الماء، فلم يكن بها أنهار تجري بانتظام، وما يسقط من أمطار كان قليلا، وكان أغلبها ينزل على جبال اليمن، كما كانت هذه الصحراء خالية من أي صناعة، فترتّب عن ذلك نوعين من السكان:

نوع استقر في مكان واحد وأقام فيه حيث وجد أسباب الرزق مُيسّرة ومنتظمة وهم الحضر "2

" ونوع لم تتهيّأ له الظّروف الّتي تحبّب إليه الإقامة في المدن، فعاش بين ربوع الصحراء، واعتمد هؤلاء السكان في حياتهم على حيواناتهم من الخيل والإبل والغنم فبحثوا لها عن المراعي ومنابع الماء، ولا شك أن التسابق على منابت الكلأ ومنابع الماء أدى إلى حدوث تصادم واقتتال بين الناس، وكُلّما كان العام أكثر قحطا، كانت الحروب أكثر شدّة، وانتشر الفقر والجوع .ممّا أدّى إلى ظهور غزوات الجوعى والفقراء على الأغنياء، وظهرت فئة الصّعاليك المشهورة بغزواتها "3

ومن شعراء الحرب نجد "عمرو بن كلثوم التغلبي" يذكر بعض أيّام قومه في حروبهم مع البكريين، حيث يقول:

" فكُنّا الأيمنين إذا التـقينا وكُنّا الأيسـرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا

فآبوا بالنهاب وبالســـبايا وأبنا بالملوك مصـفدينا "4

---

1-المرجع نفسه، ص160.

2-ينظر:علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار مكتبة الجامعة العربية، لبنان، ط3، 1966م، ص15.

3-ينظر: المرجع نفسه، ص17.

4-فؤاد إفرام البستاني، الروائع، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، د ط، 1929، ص9.

**الثورة على الواقع الاجتماعي في شعر الصعاليك:**

" الصّعلوك فارس اليأس، وبطل الحرّية خارج المجتمع، وعدوّ التقاليد التي تُسوّي الناس في الظلم والفقر والمهانة، ولا تُسوّي بينهم في القيمة والغنى والكرامة.

الصعلوك خارج القبيلة، وفي عصر حتّمت المعيشة الطبيعيّة القاسية على أقوامه

نمط الحياة الجماعيّة للدفاع والغزو، وتأمين الطعام والحماية، الصّعلوك هذا، حمل مسؤوليّة المعيشة كفرد، مستغنيا بدفق من التمرّد، غريب في دمه "1

" شعر الصّعاليك النابع عن تجربة مطلقة الحرية، وفي ظروف الحياة الجاهلية، لا يخلو من التغني بهذا النوع من التشرّد العدميّ، الذي هو غاية في حدّ ذاته، فإنّ عادات السّلب والنّهب، التي كانت تؤلّف جزءا أساسيّا من حياة القبائل، نظرا لظروف الاقتتال على المرعى والكلأ، هذه العادات تابعها معشر الصّعاليك بعد أن عرّوها من كلّ اعتبار مُزيّف خارجي، فأصبحت مثل الشجاعة والكرم والبطولة، ومعاناة الشدائد كلّها "2

" فالصّعاليك الّذين ما كانوا يملكون شيئا من متاع الحياة، راحوا في الوقت ذاته يسعون إلى تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية على طريقتهم الخاصّة. ولذلك فإن تمرّدهم الفردي كان في الوقت ذاته يحمل دعوة اجتماعية صامتة، عبرت عنها أشعارهم في تصوير حياة الجوع، والنقمة على الأغنياء الذين نصبوا جدارا بينهم وبين صراخ

المتألمين "3

يقول السليك بن السلكة على أثر غزوة رابحة:

" بكى صرد لما رأى الحي أعرضت مهامه رمل دونهم وسهوب

---

1-مطاع صفدي وإيليا جاوي، موسوعة الشعر العربي الشعر الجاهلي، شركة خياط للكتب والنشر، لبنان، د ط، 1974م، مج1، ص51.

2-المرجع نفسه، ص52.

3-مطاع صفدي وإيليا جاوي، موسوعة الشعر العربي الشعر الجاهلي، شركة خياط للكتب والنشر، لبنان، د ط، 1974، مج1، ص53.

فقلت له لا تبك عيـــــنك إنها قضية ما يقضى لها فتــنوب
سيكفيك فقد الحي لحم مغرض وماء قدور في الجفان مشوب
ألم تر أن الدهـــر لونان لونه وطوران بشر مرة وكـــــذوب
فما ذر قرن الشمس حتى رأيته مضاد المنايا والغبار يثــوب "1

**المرأة:**

" كان دور المرأة ظاهرا في الحياة الجاهليّة ومُهمّا جدّا، ولهذا كنّا نسمع في كل مناسبة اعترافا شعريّا من الرجل لها بفضلها وبمنزلتها السامية، إذ كانت هي أهم ما في حياته، ممّا يستحقّ العناية ويستوجب التضحية، فهي التي حارب من أجلها وشجع ليرضيها، وتوجّه إليها بكريم الصفات وجليل الفعال "2

" في الشعر الجاهلي دلائل كثيرة على ما كان للمرأة من حقوق واسعة، فقد صوّرها طرفة بن العبد على أنّها مناظرة للرجل. كما توجّه إليها الشعراء بأدب يخاطبونها ويتوجهون إليها بجليل الفضائل وكريم الأعمال "3

وهنا نتذكّر قول الأعشى وهو يصف عيني حبيبته بقوله:

تَلَأْلُؤُها مِثل اللُـــــــــجَينِ كَأَنَّماَ ترى مُقلَتي رِئمِوَلَ والمتَكَحَّلِ"
سَجُوّي نَبَرج أو ينِفي حُسنِ حاجِبٍ وَخَدٍّ أَسيلٍ واضِحٍ متـــــهَلِّلِ "4

1-جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال، ط3، 1936، ج1، ص135.

2-علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، العراق، د ط، 1960م، ص55.

3-المرجع نفسه، ص57-58.

4-علي الهاشمي،المرأة في الشعر الجاهلي،مطبعة المعارف،العراق،دط، 1960م،ص99-100.

# المحور الرابع :الإسلام وأثره في اللغة والأدب العربي

## قيام الدولة الإسلامية ( عصر النبوّة و الخلفاء الراشدين ) :

### البعثة المحمديّة و انتشار الإسلام :

هدم الإسلام الوحدة القَبَليّة، والوحدة الجنسيّة، وكره التفاضل بشرف القبيلة أو شرف الجنس وعلم أن معتنقي الإسلام كلّهم كتلة واحدة لا تفاضل بين أفرادها إلاّ بطاعة الله وتنفيذ أمره:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾1 "وإن أكرمكم عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، وفي الحديث: «ليس منّا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية»

### تاريخ الدولة الإسلاميّة :

### 1- تعريف عصر صدر الإسلام:

عصر صدر الإسلام هو "الفترة التي تبدأ ببعثة النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم، وتنتهي بتنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في عام 41هـ، ممّا أنهى حكم الخلفاء الراشدين"2.

جرت العادة بين مؤرّخي الأدب على دمج عصر النبوّة والخلافة الراشدة مع عصر الدولة الأمويّة تحت مُسمّى عصر صدر الإسلام، فإنّ الحقبة الأولى من هذه الفترات تختلف بشكل كبير عن عصر الدولة الأموية، من حيث الشعر والشعراء، والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تؤثر على الشعر، لذا من المناسب فصل العصرين، خاصة أن عصر النبوة يتشابه كثيرا مع عصر الخلفاء الراشدين مما يجعل دمجهما في إطار واحد أكثر منطقية.

---

1 الحجرات، الأية: 10

2 مقال إلكتروني، نشر بتاريخ 2019/07/22، على الرابط: https://noortt.blogspot.com/

### الدولة الإسلامية الأولى الخلافة النبوية (1-11هـ/ 622-632م) :

"تشكل أول كيان إسلامي في المدينة المنورة عندما هاجر الرسول –صلى الله عليه وسلم– من مكة، وكوّن نواة دولة الإسلام التي بدأت تنمو وتتوسع بدخول الأفراد والقبائل في الإسلام، وبعد فتح مكّة في السنة الثامنة للهجرة أخذت الدولة الإسلامية في التوسع، فقد توافدت القبائل على الرسول –صلى الله عليه وسلم– معلنة إسلامها. ومع وفاته عليه الصلاة والسلام كانت دولة الإسلام تشمل الجزيرة العربية."1

تمّ تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة ، فقد عرف المسلمون أوّل شكلٍ للدولة الإسلامية عندما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث وضع أولى ركائز الدولة الإسلامية ،حينما دعا إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار للتأليف بين قلوب المسلمين ، كما عقد معاهدةً بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة ، وبدأ بإرسال الرّسل إلى الملوك والحكّام لنشر رسالة الدولة الإسلامية.

### الدولة الإسلامية الثانية الخلفاء الراشدون (11-40هـ/632-661م) :

"بعد وفاة الرسول–صلى الله عليه وسلم– اختار المسلمون أبا بكر خليفة، وسُمّيت الفترة التي امتدّت من عهد أبي بكر إلى علي بن أبي طالب بالخلافة الراشدة، ومدّتها ثلاثين سنة، و أثناء هذه الفترة توسّعت الدولة الإسلامية خارج الجزيرة العربية. لتشمل بلاد الشام: سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وقبرص والعراق ومصر. وكان مركز الدولة في المدينة"2.

"بدأت هذه المرحلة من تأسيس الدولة الإسلامية في السنة الحادية عشر للهجرة، فقد تُوفيّ النبي عليه الصلاة والسلام ،ولم يعهد لأحدٍ من الصحابة بشيءٍ من أمر الخلافة والحكم، وإن كان بعض العلماء استأنسوا ببعض الأحاديث في بيان أحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه

1 ابن هشام، السيرة النبوية، تح: مجدي فتحي السيد، المجلد الأول، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1995م، ص 141

2 ابن هشام، المرجع السابق، ص 142

بالخلافة دون غيره لأفضليته في الإسلام وصحبته، ولقد ظهرت حكمة النبي عليه الصلاة والسلام في ترك الوصية في أنه أراد أن يثبت مفهوم الشورى بين المسلمين"1، ولذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ،اجتمع الصحابة والمسلمون في سقيفة بني سعادة، حيث استقر رأيهم بعد نقاشاتٍ وسجالاتٍ على اختيار أبي بكر رضي الله عنه. لتبدأ بذلك مرحلة الدولة الإسلامية الثانية التي تعاقب على حكمها أربعةٌ من الخلفاء الراشدين الذين حكموا بسنة النبي الكريم وهديه، وقد استمرت تلك الخلافة ثلاثين عاماً من سنة 11 للهجرة إلى سنة أربعين للهجرة، وأصبح للدولة الإسلامية فيها نظامها الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والتنظيمي المستند على أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها.

## التّغيير الذي أحدثه الإسلام في العرب:

مأخوذ من كتاب صلاح الدين الهادي, الأدب في عصر النبوة و الراشدين, الطبعة الثالثة ،مكتبة النحانجي بالقاهرة الصفحات من 22 إلى 25.

كانت تعاليم الإسلام ومبادئه وأهدافه ومثله ، تمثل ثورة على الحياة العربية الجاهلية بعامة ، ثورة فى العقيدة والفكر ، والسياسة ، والمثل ، وأحوال الاجتماع المختلفة. فمن حيث:

**العقيدة والفكر :** "شدد الإسلام النكير على العقائد الوثنيّة الماديّة ، وغيرها من العقائد ، ودعا إلى عبادة روحية سامية ، تتضمن فروضاً عقديّة ، وأخرى عمليّة وأوّل الفروض العقديّة وأقدسها معرفة المعبود الحق ، فلفت عقول العرب إلى أن هذا المعبود هو إله كُلّ شيء ، ربّ العالمين ، لا إلهَ قبيلة بذاتها ، أو أُمّة بعينها ، وفتح عيونهم على عبادة إله واحد لا شريك له"2، خالق الكون و مُبدعه ، لا يخفى عليه أمر ، أو يند عن علمه شيء ، وَسعتْ قدرتُه ورحمتُه كُلّ شيء ، ربّهم . وربّ آبائهم الأوّلين كما نبّه الأذهان إلى حياة أخرى ، وراء الحياة الدّنيا ، يومها هو يوم القيامة واليوم الآخر ، فيه يُحاسَبُ المرء على ما قدّمت يداه، ﴿**فَمَن**

1 المرجع نفسه، ص 144

2 صلاح الدين الهادي, الأدب في عصر النبوة و الراشدين, ط3، مكتبة النحانجي، القاهرة، 1987م، ص 21

**يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يره**﴾1، وبذلك ربَط مصير الإنسان في حياته الأخرى الباقية ، بأعماله على الأرض في حياته القصيرة الفانية.كما لفت الأنظار إلى ملكوت السّموات والأرض، وحثّ على النظر فيه ، وتدبُّر لطيف صنعته، والاستدلال بالخلق على خالقه2، محارباً بذلك ما كان فاشياً في المجتمع الجاهليّ من خرافات وأوهام ، داعياً إلى إعمال الفكر المنطقيّ الخالص ، والتأمّل العقليّ الصّرف ، مُحرّكا العقول بالمعرفة، ومُوجّهاً الأذهان إلى النّظر والفهم والتدبّر, وقد شفع الإسلام هذه الفروض العقديّة ، بفروض عمليّة أساسيّة، تُنظّم علاقة المسلم بربّه و بالآخرين.كالصّلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ ، وأوضح أن هذه الفروض لا تقبل من المسلم إلاّ إذا حسنت نيّته"3، وصدق إيمانه حين يُؤديّها ، فإنّما الأعمال بالنيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى – كما رُوي عن الرسول –عليه أفضل الصلاة و السّلام .أي أنّ إخلاص النيّة لله فيما يُؤدّي الإنسان من الفرائض، وما يأتي من أعمال الخير والبرّ، شرط لصحة ما يأتي وما يدع، وقبول ذلك عند الله عز وجل ، ومن حيث:

أ- **التربية الأخلاقية** : حرّم الفواحش والآثام ، ما ظهر منها وما بطن، كالزنا، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والربا، والسرقة، وقتل الأنفس التي حرّم الله قتلها، والبغضاء والحسد، وغيرها ,ولم تعد الشّجاعة الشخصيّة، والشهامة التي لا حدّ لها، والكرم إلى حدّ الإسراف، والإخلاص التام للقبيلة، والقسوة في الانتقام، والأخذ بالثار من المعتدى، ونجدة المستغيث – ولو كان معتدياً – قضاء لحق القرابة والدم، لم يعد ذلك أصل الفضائل في الحياة العربيّة الجديدة ، بل أصبح المثل الأعلى للإنسان المسلم، هو الخضوع لله والانقياد لأمره ، والصّبر على قضائه ، وإخضاع منافع الشخص ، ومنافع قبيلته لأوامر الدّين ، والقناعة ، وعدم التّفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالولد ، وتجنّب الكبْر والعظمة، والتزام العدل والأمانة والإحسان"4، وهكذا

1 الزلزلة، الآية: 7

2المرجع نفسه، ص 21

3صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص 22

4 المرجع نفسه، الصفحة نفسها

لقّن الإسلام العرب الآداب العامة ، وعلّمهم مناهج السلوك واللياقة عند التحية، واللقاء والزيارة، والحديث، ودأب القرآن الكريم على دعوتهم إلى البرّ بالفقراء والمساكين، وصلة الرحم، وحسن الجوار والوفاء، وكلّ ما هو خير.

ب- **الناحية السياسية** : "فقد جدّ الإسلام في القضاء على الأسس التي قامت عليها الوحدة القبليّة، وأهمّها العصبيّة القبليّة القائمة على صلات الدم والنّسب، والتعصّب لهما، والتّفاخر بهما ، وعمل جاهداً على صهر العرب في بوتقته"1، ليجمع بينهم على اختلاف أنسابهم ومواطنهم – في وحدة إسلاميّة، سياسيّة، قوامها: الاتّفاق في العقيدة، ونظام الحكم، والآداب، يدينون في ظلالها بالطاعة لوليّ الأمر في الإسلام، لا لرؤساء القبائل وسادتها، وينصاعون لحُكم الإسلام لا لعُرف القبيلة وتقاليدها الموروثة، و يعتاضون عن الولاء للقبيلة ، والتّفاني في خدمتها بالولاء للإسلام و التفاني في خدمته ونشر تعاليمه في ربوع الأرض ،ويلتمسون الأمن والحماية في ظلّ الإسلام لا بالالتجاء إلى القبيلة، والاعتماد على نصرتها كما يعتاضون عن الأخوة في الدمّ بالأخوّة في الإسلام ،ويُقلعون عن مستهجن العادات والأخلاق ؛ ليتحلوّا بما سنّه الإسلام من مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات ،ورفيع المُثُل من التّعاون على الخير والتّعاطف والتّراحم وأخذ القوي بيد الضّعيف حتى يحلّ التّآزر والتآلف محلّ الخصام والنزاع والشقاق"2

ت- **المجال الاجتماعي:** حرص الإسلام على تأسيس مجتمع واضح الأعراف والمفاهيم في كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات ، والروابط الإنسانية ، وسائر الأحوال الشخصية ويكفى أن نضرب مثلا ببعضما أحدثه الإسلام في الحياة الاجتماعية من تأثير ، بموقفه من المرأة ، فقد أعلى من شأنها وأكرمها – أَمَة وحُرّة – حيث أوجب العناية بها ، و كفل لها حقوقها، وحفظ

1 ابن هشام، المرجع السابق، ص 145

2صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص 23

كرامتها "1 ، وفرض الإسلام للمرأة نصيباً من الميراث إلى غير ذلك مما جاء به الإسلام تعزيزاً لمكانة المرأة واحتفاء بها.

"كما نشير إلى ما سنّ الإسلام من قوانين العدل الاجتماعي بين الناس ،على اختلاف ألسنتهم وأجناسهم ، إنّما يكون التفاضل بينهم بمدى الاجتهاد في الطاعة الله وتقواه "2.

## 1.أثر الإسلام في اللغة والأدب:

**أثر الإسلام في اللّغة:**لقد كان القرآن المعجزة الكبرى للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والآية الدالّة على أنّه موحى به من الله تعالى، لما فيه من جزالة، وحسن السّبك، وقوّة التشريع، وأحكام الدعوة، ممّا عجز عن مجاراته الفصحاء والبلغاء، والمُشرّعون والحكماء .

القرآن الكريم هو أصحّ وثيقة تاريخية تشريعيّة أدبيّة عرفتها الحضارة الإنسانيّة،ولقد اختار الله لوحيه أسماء جديدة مخالفة لما سمى به العرب كلامهم جملة وتفصيلا،ورُوعي في تلك الألقاب ،أسرار التّسمية ،وموارد الاشتقاق، واشتهر منه لقبان: الكتاب والقرآن.

ومن دلائل إعجاز القرآن هو فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه، وزاد اللغة غنى بمصطلحات أحياها من جديد كانت قد نسيت وأهملت، ونزل على سبعة أحرف والتي هي سبع لهجات من لغات العرب، والاهتمام بدقّة البيان ،والجمال من خلال استعمال الألفاظ والتراكيب ،التي تؤدي المعنى المراد بوقع موسيقي عذب على أذن السامع تسهيلا له على حفظه ،ولهذا كان القرآن الكريم مليئا بالمحسنات البديعيّة والصّور البيانيّة التي زادته جمالا ورونقا.

كما ينبغي أن نُنَوّه إلى ظهور مصطلحات جديدة في القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجب على المسلمين تعلّمها وفهمها، ومن هذه المصطلحات أسماء الله الحسنى، وظهرت بعض الأسماء التي تحمل أكثر من معنى مثل الزكاة فهي تعني الطهارة والنّمو، كما

1صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص 24

2المرجع نفسه، ص 25

ظهرت بعض الأسماء التي لم تعرفها العرب ولا غيرها من الأمم مثل: تسنيم والتي تعني العلوّ، وسلسبيل اسم أعجمي يعني العذب، وكلمة غسلين التي تعني شديد الحرّ، وكلمة سجَين وهي اسم واد في جهنم.

وإذا تناولنا المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ألا وهي السنة النبوية، فنجدها حُجّة أدبيّة ونحوية، وبلاغية، فقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فكانت أحاديثه النبوية مختصرة بليغة، تعدّدت في الأساليب والألفاظ وتنوّعت، وفي كثير من الأحيان كانت تشرح ما جاء في القرآن وتُفسّره أو تفصل فيه.

**أ- اثر الإسلام في النثر :**

**1) الخطابة:**

كان تأثير البلاغة النبوية قويّا في أدب هذا العصر، وبخاصة في باب النّثر الفنيّ وعلى الأخص في ميدان الخطابة، حيث أمدت الخطباء بالماعون القوى ، والمدد الفياض فتمثّلوها وحذوا حذوها وحاولوا تقليدها، باقتباس ألفاظها وأساليبها وموافقة معانيها وأغراضها، وسوق الأدلّة والبراهين على غرارها، كما أكثروا من الاستشهاد بنصوصها في ثنايا كلامهم.1

"والفرق بين الخطابة في الجاهليّة ،وفي الإسلام . أنّ الإسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية ،وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضا، ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس، فأخذ الخطباء يوضحون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلاً أو إشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ( وأشار بيده نحو

1 حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي, ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986م، ص 184.

الشام ) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ( وأشار بيده نحو الحجاز) ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ( وأشار بيده نحو العراق )"1.

وزادت الخطابة بعد الإسلام قوة ووقعاً في النفوس بنهضة العرب للحروب وانتصارهم في أكثر مواقعها ، فازدادوا أنفة وسمت نفوسهم فسما بها ذوقهم في البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه في البلاد الجديدة والأمم الجديدة والألسنة الجديدة، فبلغت الخطابة عندهم مبلغاً قلما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدّمتهم بلاغة وإيقاعاً وتأثيرا.. حتى اليونان والرومان ، "ولا ننكر ما كان من تفوّق هاتين الأمّتين في الخطابة ،وما نبغ بين رجالها من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستنيس ، وبرو تاجوراس ، وبريكليس ، من خطباء اليونان وشيشرون ، ويوليوس قيصر، من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقعا وربما كان الخطباء في الإسلام أكثر عدداً ، وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بينا لأمتين لغة وخلقا وأدبا .."2

ولا غرابة في ذلك لأنّ العرب أهل خيال وذوو نفوس حسّاسة ، وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الإسلام بينهم . وكثيراً ما توقّف فتح البلد أو الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسري في عروقهم الحماسة ، فيستميتون في الدّفاع أو الهجوم..

وإذا رجعت إلى حوادث الفتح ،أو جمع الأحزاب ،أو إخماد الثورات ،رأيت عجباً . وأوّل ثورة كادت تهبّ في الإسلام ثورة أهل المدينة لمّا بلغهم موت الرسول صلّى الله عليه و سلّم ،فهاجوا وخاف الصحابة سوء العاقبة3. فقام أبو بكر خطيباً قائلا: أيها الناسُ: إنّ من كان يَعبُد محمداً،

1 جرجي زيدان, تاريخ آداب اللغة العربية، المرجع السابق، ص 242

2 المرجع نفسه، ص 243

3جرجي زيدان, تاريخ آداب اللغة العربية، المرجع السابق، ص 244

فإنّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموتُ ، وتلا الآية الكريمة ( وما مُحمدٌ إلاّ رسول قد خَلَتْ مِنْ قبله الرسل أفإن ماتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابِكُم ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ، وسيجزى الله الشّاكرين)،فهذه الخطبة أوضح دليل على مدى تأثّر الخطابة بالقرآن الكريم في فترة مبكرة من صدر الإسلام ؛ حيث يقوم بناؤها على آية قرآنية تمثل أكثر عبارتها ، وتقوم فيها مقام الدليل والخاتمة معا وهي – على إيجازها الشديد – تمثّل أسلوب القرآن في البرهنة ، وهو أسلوب يتّجه إلى العقل، فيبسُط أمامه الحقائق المسلّمة،ومنها يصل إلى النتيجة التي لا يملك العقل إلاّ التّسليم بها . ولقد أحدثت هذه الخطبة – من هذه الناحية – التأثير المرجوّ ، والإقناع المطلوب ، فما إن

سمعها عمر – رضي الله عنه – حتّى قال ( والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها حتىّ

وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أنّ رسول الله قد مات )"1

وأعظم الخطباء في عصر صدر الإسلام الرسول صلّى الله عليه و سلّم والخلفاء والقُوّاد . وترى أمثلة من أقوالهم متفرّقة في السّيرة النبويّة ،وكتب الغزوات والفتوح والتاريخ ، وفي العقد الفريد وغيره من كتب الأدب، وكلّها مطبوعة ومشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي بن أبي طالب ، فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة ، جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة 436هـ2.

و من خطب الإمام علي بن أبي طالب وهي – فيما يقال – أول خطبة له في خلافته ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ((إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً ، بيّن فيه الخير والشر ، فخُذُوا بالخير ، ودَعُوا الشر ، إن الله حرّم حُرماً مجهولة ، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها ، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، إلا

1 صلاح الدين الهادي, المرجع السابق، 180, 181.

2جرجي زيدان, المرجع السابق، ص 189.

بالحق ، لا يَحلّ لمسلم أذى مسلم إلاّ بما يجب. بادروا أمر العامّة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعةُ ، تَحدُو بكم ، فتخفّفوا تلحقوا ، فإنّما ينتظر بالناس أخراهم . اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسئولون حتّى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشرّ فدعوه ، "واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون يتخطفكم الناسُ ، فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات" )) 1.

هذه خطبة من خطب الإمام على الّتي اشتهر بها في الزّهد والمواعظ، والقارئ لهذه الخطبة وأمثالها في هذا الباب ، يُخيّل إليه أن الإمام رجل لاحظّ له في غير الزّهادة، ولا شغل له بغير العبادة ، ويكاد ينسى أنه البطل المغوار الذي ما اقتحم معركة إلاّ عاد منها بسيف قد ارتوى من دماء الأعداء، والشجاع الذي ضربت بشجاعته الأمثال، وما ذلك إلا لأن معانيه في الزهد والمواعظ تحلّق في سماء عالية وتطوف على النفوس العاصية والقلوب اللاهية ولا عجبا فالإمام متشبع بإسلامه المبكر، وبطول الصحبة لرسول الله والقرب منه . وخطبته التي بين أيدينا تعكس هذه النواحي ، كما تعكس طابعه العام الذي لا يفصل بين الدين والسياسة والاجتماع في خطبه إذ السياسة عنده وجه من وجوه الدين أو هي سياسة الدنيا بالدين.2

وأسلوب الإمام علي – كما يبدو في الخطبة – يميل كثيراً إلى التحبير والتأنق في صوغ العبارة وتزيينها ، فهو يستخدم الطباق( الخير والشر ) و( أمامكم وخلفكم ) والاستعارة(تخففوا تلحقوا) والصورة وسيلة هامة من وسائل الأداء في أسلوب الإمام بعامة ويلاحظ أن الخطبة ختمت بآية قرآنية.3

1 صلاح الدين الهادي, المرجع السباق، ص 187

2 علي ابن أبي طالب، نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص 12

3 المرجع نفسه، ص 13

## 1. الوصايا والعظات في عهد النبوة والراشدين :

### أولا : الوصايا :

"الوصايا لون من النثر الفني القديم, عرفه عرب الجاهلية و تمرسوا به, كما عرفوا الخطابة و مارسوها, وتناولوا فيه بعض جوانب حياتهم الاجتماعية وضمنوه نظراتهم الحكمية، وبقدوم الإسلام قطعت الوصايا في هذه الفترة الشوط نفسه الذي قطعته الخطابة، فظهرت الوصية الدينية، كما ظهرت الخطبة الدينية، وتناولت من الموضوعات والمعاني ما تناولته الخطبة، متأثرة بالإسلام والقرآن فيما تأثرت به الخطبة، من الشكل والمضمون"1.

كما ظهرت الوصية السياسية الممتزجة بالعناصر الدينية ، وأشبهت مثيلتها من الخطب السياسية الدينية في كلما ذكرنا وهناك كثير من وصايا الرسول الله وخلفائه وصحابته ، وأكثرها يغلب عليه الطابع الديني ، ومن وصايا الخلفاء لمن بعدهم ما يتناول أموراً سياسية ، تتصل بنظام الحكم، وحسن القيام على الرعية ، وتنظيم شئون الدولة ، بخاصة في البلاد المفتوحة ، في عهد عمر ومن بعده ، ومعظمها مُوجّه إلى الولاة والجنود ، وإلى من سيضطلع بالحكم بعدهم على أنّ من الوصايا التي تؤرخ لها في صدر الإسلام ، ما قيل في أغراض أخرى اجتماعية أو أخلاقية ، كوصية أبي الأسود الدؤلي ابنته ليلة زفافها.2

وهذا النوع من وصايا صدر الإسلام لا يكاد يختلف في شكله ومضمونه عن الوصايا الجاهلية اللهم إلا فيما نزع إليه الأسلوب الإنشائي بعامة في هذا العصر من البساطة ، والبعد عن الألفاظ البدوية الخشنة والإقلال من السجع والبعد عن النزعات الجاهلية في الموضوعات والمعاني التي جاء الإسلام بإبطالها، أو التنفير منها ومن عرضنا لبعض نماذج الوصية في صدر الإسلام يتّضح ممّا ذكرنا :

---

1صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص 199

2صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص 200.

**من الوصايا السياسية الممتزجة بعناصر دينية:** وصية عمر بن الخطاب الخليفة من بعده: وصى عمر ابنه عبد قبيل وفاته فقال : (( أي بني إذا قام الخليفة بعدى فائتِهِ ، فَقُل له إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُقرئك السلام ، ويوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له ويوصيك بالمهاجرين والأنصار، أنْ تَقبل من مُحْسِنِهم، وتتجاوز عن مُسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيرا، فإنهم غَيْظُ العدو ، وجباةُ الفيء ، لا تحمل فَيْئهم إلا عن فضل منهم، ويُوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنَّهم أصل العرب ، ومادة الإسلام..)

وعلى هذا النحو تمضى الوصية ما يقرب من سطرين آخرين , فلو أن عمر – رضوان الله عليه – وقف خطيباً ، وألقى هذا الكلام نفسه على النمط الشكلي للخطابة ، لما كان هناك فرق واضح بين الأسلوب في الموقفين1.

**من الوصايا الدينية :** وصية علي بن أبى طالب– رضي الله عنه –ابنيه الحسن والحسين عند وفاته :

"أوصيكما . بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا ، وإن بعتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زَوَى عنكما ، قُولا الحقَّ ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، وأضيفا الجائع ، وكُونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخُذْكُم في الله لومة لائم "فالمعاني ، والعبارات ، والغرض والأسلوب ، تحمل كلّها خصائص الخطبة الدينيّة المتأثرة بالإسلام في هذا العصر2.

**ومن الوصايا الاجتماعية :** وصية أبي الأسود الدؤلي ابنته ليلة عرسها (( يا بنية كان النساءُ أحقُّ بأدَبِكِ مِنّي ، ولكن لا بدَّ لي منه ، يا بنية إن أطيب الطيب الماءُ ، وأَحْسَنَ الحُسنِ الدُّهْنُ ، وأحْلَى الحلاوة الكحل ، يا بنيَّة لا تكثري مباشرةً زوجك فيملك ، ولا تباعدي عنه ، فيجفُوك ، ويعتل عليك ، و كوني كما قلت لأمك:

1المرجع نفسه, ص 201 .

2صلاح الدين الهادي، المرجع السابق, ص 202.

**خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حينَ أغْضَبُ**

**فإنّي رأيتُ الحُبّ في الصدر والأذى إذا اجْتَمَعا لم يلبث الحُبُّ يذهب**

فهذه الوصية تشبه مثيلاتها في العصر الجاهلي، من حيث طابعها الاجتماعي ومضمونها المستمد من حياة العربي في الجاهلية والإسلام وأسلوبها الذي ، يظهر فيه قصر الجمل مع ميلها إلى الموازنة، وإن تخلصت من السجع، الذي لا تكاد تخلو منه نظيرتها في الجاهلية ، أما تحلية الوصية بالشعر، فلا تخلو منها الوصية أيضاً في العصر الجاهلي، إذ كان الشعر هو النشاط الأدبي الشائع على السنة عرب الجاهلية كما قدمنا.1

**ثانيا : العظات:**

أما العظات فهي شكل أدبي نثري ، يمكن أن يدخل في باب الخطب أيضاً ، إلا أنه لا يتعلق بحال من أحوال الدنيا ، أو يتناول أمراً من أمورها ، إلا بقدر ما يرغب عنها ، ويزهد فيها، وإنما هي عظات دينية خالصة ، قوامها التوجيه إلى الله ، والدعوة إليه ، والترغيب في الآخرة والتنفير من الدنيا.

وإذا كان هذا هو الاتجاه الموضوعي للعظات ، فهي فن إسلامي خالص ، نجم عن الإسلام وتربى بين أحضانه2.

وأسلوب العظات الدينية يشبه – إلى حد بعيد – أسلوب الخطابة الدينيّة ،ولكي يتضح هذا التشابه بين العظة الدينية ، والخطبة الدينية ،نسوق من نماذجها ما يلى :

1 المرجع نفسه, ص 203.

2صلاح الدين الهادي، المرجع السابق, ص 204.

وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال: (لا يُلهينَّكَ الناسُ عن نفسك، فإنَّ الأمير يصل إليك دونهم، ولا تقطع النهار سادِرا، فإنه محفوظ عليك ما عَمِلت، وإذا أسأتَ فأحسن ، فإنّي لم أرَ شيئاً أشدَّ طلباً، ولا أسْرَعَ دَركاً من حسنة حديثة لذنب قديم) .

فالعظة كالوصية الدينية تماماً ولولا أن الوصية خاصة بمواقف الإحساس بوفاة الموصي ، أو رحيله أو نحو ذلك ، وموجهة إلى أهل الموصي أو ولده ، لسميت العظات وصايا دينية أو سميت الوصايا الدينية عظات. ووعظ على بن أبى طالب فقال :

(أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباطُ الإبل لكان قليلا ، لا يَرجُون أحدكم إلا ربه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه، ولا يستحى إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطِعَ الرأسُ ذهب الجسد).1

وهذه جولة موجزة ، حاولنا فيها أن نلمّ بحياة النثر في صدر الإسلام ، وأن نتلمس أثر الإسلام بعامة، والقرآن بخاصة ، في ألوان هذا الفنّ ، ومدى تطوّره في ظلّهما.

1المرجع نفسه, ص 205 .

# المحور الخامس :أثر الإسلام في الحركة الشعرية

## وضع الشعر قبل الإسلام و موقف الإسلام منه:

"لا تخفى علينا المكانة السامية التي حظي بها الشعر في العصر الجاهلي قبل الإسلامفكان الشعر أبرز فنّ عند العرب في الجاهليّة ، يصول الشّعراء في ميدانه ويجولون ، ويقولون في كل ما يريدون ، مما يدور في خواطرهم ، أو تقتضيه ظروف معايشهم، أو تهتزّ له عواطفهم ، مُتنقّلين في حرّية تامّة فوق صدر الصحراء، مُتّخذين من الأسواق المنتشرة في أنحاء الجزيرة ميدانا للكلمة المنظومة الموقعة، فيشيدون بمفاخرهم ومآثر قومهم حينا ويهجون أعداءهم حينا آخر، وهم في كل حال ينفخون في نار العصبيّة القبَليّة ، ويلغون في دماء الخصوم وأعراضهم ، ويرون ذلك واجباً يُحتّمه الولاء للقبيلة، والوفاء بحقّها عليهم، ولا ينسون في كل ذلك مغامراتهم العاطفيّة ، يرضعون بها صدور قصائدهم ، ويرضون بها شياطينهم وشياطين من يستمعون إليهم أو يروون أشعارهم"1.

وهكذا كان الشّعر في العصر الجاهلي ، وكأنه بضاعة العرب الوحيدة ، يغدقون عليها الأموال ، ويترعون من أجلها الكئوس ، ويرفعون لها المنارات ويقيمون لها المنابر ، فاشتدّ التّنافس بين الشّعراء ، وبين القبائل مفاخرة بهم ، ممّا إلى أن يحتلّ هذا الفن قمّة عالية من الجودة وإتقان الصناعة ، فأمر الشّعراء في دولة الشعر ، وعلقت قصائدهم ، وذهبت أخرى.2

### -موقف الإسلام من الشعر:

أثار الشّعر بعد انتشار الإسلام خلافا بين المُؤرّخين في نظرتهم له ،و مدى تأثّره بالإسلام سواء بازدهاره أو ضعفه، و لكثرة أقوال الباحثين في هذا الموضوع ، واختلاف وجهات

1محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، ط1، دار المعارف، 1988م، ص 21

2 صلاح الدين الهادي, المرجع السابق، ص 212.

نظرهم. أصبح هذا الموضوع من القضايا الأدبية المُهمّة. " فمنهم يرى أنّ الاهتمام بالشعر قد قل بعد الإسلام، وأن الشعراء انصرفوا عنه، فضعف مستواه وأرجعوا ذلك إلى الأسباب الآتية1:

1 – إنّ المسلمين شُغلوا بالقرآن الذي أدهشهم أسلوبه وبهرهم إعجازه، مما صغّر الشعر في عيونهم.

2 – محاربة الإسلام لنوازع الشرّ الّتي تثير النّفوس، وتبعث الحَميّة، وتدفع إلى قول الشّعر. لأنّه – كما يرون – نكد لا يقوى إلا بالشرّ، فإذا أدخلته في باب الخير لاَنَ .

3 – طبيعة الدّعوة الإسلاميّة التي تعتمد على المجادلة والمنطق والإقناع، لم يكن يناسبها الشّعر.

4 – إن بعض الشعراء شُغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله .

5 – حَمْلة القرآن الكريم على الشعراء، وذلك في قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

6 – إنّ النبيّ–صلّى الله عليه و سلّم – لم يهيئ لعامّة الشعراء مكاناً رحيباً في كنفه، لما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يُقرّها الدين، فكفّ بعضهم عن قول الشعر".2

ومنهم من التفت إلى ما بعثه الصّراع بين المسلمين في المدينة ، والمشركين في مكة ، خلال العهد النبويّ ، من نشاط ملحوظ في الشّعر والشّعراء ، ونظر في أشعار شعراء البادية الذين نشأوا في الجاهليّة ، ولم يتأثّروا كثيراً بالإسلام ، ولاحظ غزارة نتاجهم الشعري ، وما يمتاز به من قوةومتانة ، فحكم بازدهار الشعر ، وعلو منزلته في العصر كله3 , "ونقضوا الأقوال السابقة، وذهبوا إلى أن تيّار الشعر ظل متدفقاً في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين، وأنه تهيّأت له كثير من العوامل الّتي استدعت القول فيه، والإكثار منه. وممّا قالوه:

---

1عادل جابر, شفيق محمد , تاريخ الأدب العربي القديم , ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع , عمان 2010 ص 33.

2 المرجع نفسه، ص 34

3 صلاح الدين الهادي, المرجع السابق، ص 210.

1 – إن القرآن الكريم لم يحمل على الشعراء بعامة، وإنما على الشّعراء المُشركين الذين كانوا يهجون الرّسول ويثبّطون دعوته، ولم يوجّهوا شعرهم لخدمة الإسلام.

2 – لقد اتّخذ الرسول–صلّى الله عليه و سلّم – الشّعر سلاحاً ماضياً ضد خصومه من مشركي قريش وأعداء رسالته، وقد كان عليه السلام، يستمع إلى الشعراء ويثيبهم ؛ مدحه عبّاس بن مرداس فكساه حُلّة، ومدحه كعب بن زهير فكساه بردة، واعتماده على حسّان بن ثابت من الأخبار المعروفة المشهورة، ومما قاله له : «والله لشعرك أشدّ عليهم من وقع السّهام». وكان أبو بكر الصديق يسأل عن الشّعر ويتمثل به، وكان عمر : عالماً به، ذوّاقا له .

3 – وحُجّة انشغال المسلمين بالجهاد ،مردودة، فالجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلاميّة من أكثر الرّوافد، التي أمدّت الشعر الإسلاميّ بالمعاني الجديدة، والأفكار البديعة، والأغراض الطّريفة .

4 – إن من يقرأ كتب الأدب والتاريخ والسّير يجد أنّها تمتلئ بالأشعار الّتي قيلت في صدر الإسلام.1

**-أثر الإسلام في الشعر:**

لقد كان أثر الإسلام على الشعر والشعراء بالغ الأهميّة, فقد جاء الإسلام بتغيير في الفكر ونمط الحياة، وتعاليم جديدة، فتغيّرت معاني الشّعر، وأصبغت بدلالات دينيّة، وصار وسيلة فعّالة للدّفاع عن الدّين، من خلال ردّ الشّعراء المسلمين على الشّعراء المُشركين، والدّفاع عن الدّين والرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ولقد ساهم الإسلام في تطور الشعر العربي، حيث ظل مزدهرا في صدر الإسلام، وليس بصحيح أنه توقف أو ضعف كما ظنّ ابن خلدون وتابعه

1 عادل جابر, شفيق محمد, المرجع السابق، ص 44.

فيه بعض المعاصرين ، وتمثّلت مظاهر تأثير الإسلام في الشعر والشعراء في صدر الإسلام من خلال اتجاهين هما1:

**1-1 من حيث المعاني:**

لقد حافظ الإسلام على العديد من الأغراض الشعريّة، ألّتي كانت سائدة في العصر، الجاهليّ، لكنّه هذّبها كالفخر والحماسة " فلم يعد الشاعر يفخر بإعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها، ولا بكسب المغنم أو سبي الأعداء. بل صار يفخر بنيل الشهادة في سبيل الله، وبتأييد الملائكة لجند الله، وبانتصار المؤمنين الصادقين ، في حين صار المدح مواكبا للقيم الأخلاقية والاجتماعية الإسلاميّة؛ فانصرف الشّعراء إلى مدح الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وصفاته الحميدة، ومدح رسالة الدّين الإسلامي، والتي هدفها هداية البشر، وقد اختلفت مضامين الهجاء عمّا كان عليه في العصر الجاهلي " إذ لم يكن تسرعا بالشعر إلى أعراض الناس، ولا قذفا بألوان الشتائم والمساوئ ،وإنّما كان هجاء لمن ضلّ عن طريق الحقّ وتنكب سبيل الهداية" ، أما الرّثاء فقد حافظ الشعراء المسلمون على خصائصه، لكن "تبدّلت الشّمائل التي عدّدها الشعراء في مراثيهم، إذ أخضعوها للمقاييس الإسلاميّة الجديدة، فتحدّثوا بسيرة لم تكن تعرفها الجاهليّة، فيها المجد والتّقوى والإيمان، وفيها الخير والبرّ والوفاء وفيها الرحمة والهداية والنقاء"، كما ظهرت أغراض جديدة منها:

أ- **الشعر الدينيّ**:تحدث الشعراء المسلمون من خلال هذا الغرض عن تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه وقيمه، وعن "وحدانية الله، وعن الوحي والنبوّة، وعن عقيدة الخلق والحياة، وعن الموت والبعث والحساب، وعن الثواب والعقاب،الجنّة والنّار، والحلال والحرام".

ب- **الوعظ والإرشاد:** لقد « احتاجت أوامر الدّين ونواهيه إلى الحثّ على الالتزام بها وتنفيذها، فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد، وقد حاول شعراء صدر الإسلام الإفادة

1سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 154

من فنهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا إليها القرآن » ، فقد دعا هذا الغرض إلى اتباع مبادئ الإسلام و أوامره.

**ج- الوصايا** : تُعدّ الوصايا من شعر الوعظ والإرشاد ،والذي تطوّر في صدر الإسلام والعصر الأموي؛ حيث يقوم الشعراء بنصح أبنائهم وأهلهم، ويخبرونهم خلاصة تجاربهم الحياتيّة، وقد ظهرت الوصايا في العصر الجاهلي، لكن مضامينه تختلف بين العصرين بسبب مبادئ الإسلام وتعاليمه التي هذّبت المفاهيم وقيم الإنسان1.

**د- الزُّهد:** عبّر الشعراء في صدر الإسلام عن الزُّهد الذي دعا إليه الإسلام؛ بالابتعاد عن مَلذّات الحياة ومتاعها، دون الانقطاع التام عن الدّنيا، وقد كَثُر الوُعّاظ والزُهّاد في صدر الإسلام والذين يدعون إلى الزّهد، فكان لهم بالغ الأثر في نفوس الشعراء، وتجلّى ذلك في نصوصهم الشعرية، حيث نظموا أشعارا كثيرة في غرض الزُّهد.

**هـ - شعر الفتوحات الإسلاميّة** : وصف الشّعراء المعارك التي خاضها المسلمون أثناء الفتوحات الإسلاميّة، وتصوير بطولاتهم، وشجاعتهم وثباتهم في الجهاد لنصر الدّين الإسلامي، ونَشْر تعاليمه إعلاء لصوت الحقّ ورسالته ، وقد « تردّدت المعاني الإسلاميّة الجديدة في أشعار أولئك المجاهدين المنطلقين في سبيل الله ، وهم يحملون في صدورهم تعاليم الإسلام .2».

**و - شعر الشّكوى:** يتضّمن هذا الشعر شكوى الشّعراء ضدّ الوُلاّة الذين استغلّوا مناصبهم، في نهب أموال المسلمين، وتقديم تلك الشكوى إلى الخلفاء، كي ينظروا في أمرهم.

**2-1- من حيث الأسلوب3:**

1سامي مكي العاني، المرجع السابق، ص 155

2 المرجع نفسه، ص 157

3 حنا فاخروي، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 152

أ- **الألفاظ:** قام الإسلام بتوسيع دلالة ألفاظ عديدة، كانت متداولة قبل انتشاره، كما ظهرت ألفاظ أخرى ذات دلالات إسلامية ؛ كمفردات الإيمان، الكفر، النبوة، الرسالة، الجنة، التقوى، الجهاد القيامة، المسجد، القرآن، وغيرها .

ب- **بناء القصيدة وتقاليدها:** تخلىّ الشّعراء المسلمون عن الالتزام بتقاليد شعرية كثيرة كانت سائدة في الشعر الجاهليّ، مثل مخاطبة الاثنين و رحلة الشاعر، النّاقة، المقدّمة الطّلليّة.

ج- **الاقتباس من القرآن والحديث الشريف:** حاول الشّعراء تقليد أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ فاقتبسوا منهما المعاني الإسلامية والألفاظ الدالّة عليها ، وكذلك الآيات القرآنية، مع تغيير في تراكيب الجمل وترتيبها، كما أخذوا من الحديث الشريف بلاغة لغته وأسلوبه؛ فيقتبسون نصّ الحديث الشريف، غير أنهم غيّروا بعض ألفاظه وتراكيبه.

## قضايا الشعر الإسلامي:

- **شعر الدّعوة الإسلاميّة:**

اضطلع الشّعر في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين بدور كبير في الانتصار للدّعوة الإسلاميّة وتأييدها، وقد حثّ الرسول – صلى الله عليه وسلّم – شعراء الإسلام على أن ينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم، فقد رُوي عنه أنّه قال : ألا رجل يردُّ عنّا؟ قالوا يا رسول الله حسّان بن ثابت قال :اهجهم فو الله لهجاؤك أشدّ عليهم من وقع السّهام. وخاطب النبيّ– صلى الله عليه وسلّم – شعراء الإسلام : اهجوا بالشعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله ،والذي نفس محمّد بيده كأنّما تنضحونهم بالنّبل[1].

وقد تعدّدت الموضوعات التي تناولها الشعراء في تأييدهم للدعوة الإسلامية، ومن أهمّها : دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، ومدح الرسول الكريم، والحض على الجهاد، وتهديد كفّار قريش، ورثاء من استشهد من المُسلمين .

1 عادل جابر, الشفيق محمد, المرجع السابق، ص 35.

فقد تحدّث كعب بن زهير عن رحلة قام بها، ليدعو قومه إلى الإسلام، ويحثّهم على الدّخول فيه، إذ يقول:

**رحلت إلى قومي لأدعو جلّهم إلى أمر حزم أحكمته الجوامع**

**سأدعوهم جهدي إلى البر والتقى وأمر العُلا ما شايعتني الأصابع**

**فكونوا جميعاً ما ما استطعْتُمْ، فإنه سيلبسكُمْ ثوبٌ منَ اللَّهِ واسع**

وعندما ارتدّت كندة ثبتَ الشّاعرُ ثور بن مالك على دينه، وحاول أن يثني قومه عن الردّة فلم يفلح ؛ وفي ذلك يقول:

**وقلت تحلّوا بدين الرّسول فقالوا: التّراب سفاها بفيكا**

**فأصبحت أبكي على هلكهم ولم أكُ فيما أتوه شريكا**

وأكثر الشعراء من مدح الرّسول الكريم، وذكر بطولته، وما يتحلىّ به من عظيم الصفات, من ذلك الأبيات التالية التي قالها كعب بن زهير يمدح الرسول وأصحابه المهاجرين، ويصفه وما جاء به من الهدى بالنور، ويصوره سيفاً من سيوف الله، ويثني على المهاجرين الذين آمنوا بالله وهاجروا من مكّة امتثالا لأمر الرسول عليه السلام:

**إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول**

**في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا**

**زالوا فما زال أنكأس ولا كُشُفٌ عند اللقاء ولا ميل معازيل1**

1 عادل جابر, شفيق محمد, المرجع السابق, ص 36.

و يرسم مالك بن عوف صورة زاهية لشخصية الرسول وما انطوت عليه من جميل الخصال وكريم السجايا التي تفرد بها، فأثنى على كرمه الفياض، وبصيرته النافذة، وشجاعته الفائقة، وحرصه على جنوده ورحمته بهم بهم، واستبساله في الدفاع عنهم.

**ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد**

**أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يخبرك عما في غدِ**

**وإذا الكتيبة عردَتْ أنيابها بالسمهريّ وضَرْبٍ كل مهند**

**فكأنه ليت على أشباله وسط الهباءة خادِرُ في مرصد**

وأسهم الشعراء في تحريض المؤمنين على الجهاد، واستنهاض هممهم، وإلهاب جذوة الحماسة في نفوسهم. فعندما تضعضعت قوة المسلمين يوم حنين انتدب بجير بن زهير بن أبي سلمى نفسه ليحثّ الناس على الصبر والثبات، مُذكّراً إيّاهم ببيعتهم للرّسول الكريم وتأييد الله لهم، يقول:

**أين الذين هم أجابوا رَبَّهم يوم العريض وبيعة الرضوان**

**والله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزّنا بعبادة الرحمن**

**والله أهلكهم وفرّقَ جَمْعَهم وأذلهم بعبادة الشيطان**[1]

- **شعر الفتوح الإسلاميّة:**

واكب الشّعر العربي حركة الفتوح الإسلاميّة ، فقد افتخر الشعراء بالانتصارات العظيمة على الفرس والروم، وصوّروا شجاعة الأبطال الفاتحين وتضحياتهم ) . وقد حظيت فتوح فارس، ولا سيما معركة القادسيّة، بحظ وافر من الشعر، إذ شهدها عدد من الشّعراء المجاهدين الذين كان

1عادل جابر, شفيق محمد, المرجع السابق, ص 36.

لهم بلاء حسن في قتال الفرس، ومن هؤلاء عمرو بن مَعْدِ يكرِب الزّبيدي الذي شهد القادسية، ومما قاله فيها يفخر بشجاعة المسلمين وبطولتهم:

**والقادسية حين زاحم رُسْتُم كنا الحُماةَ بهنَّ كالأشْطان**

**الضاربين بكل أبيضَ مِخذَم والطاعنين مجامع الأضغانِ**

وممّن له بلاء حسن في القادسية قيس بن المكشوح، وهو الذي قتل رُستم، وقد قال في ذلك قصيدة وصف فيها الخيول العربية التي شاركت في المعركة، وتغنى ببطولة المجاهدين في المعارك، وافتخر بصرعه لقائد الفرس. ومما ورد في القصيدة:

**جَلَبْتُ الخَيْلَ مِن صَنْعَاءَ تُرْدي بكل مُدَجّج كالليثِ سَام**

**وجئن القادسية بَعْدَ شَهْرٍ مسومة، دوابرها دوامي**

**فَنَاهَضْنا هنالك جَمْعَ كسرى وأبناء المرازبة الكرام**

**فلما أن رأيت الخيل جالت قصَدْتُ لموقف الملك الهمام**

**لأضرب رأسه فهوى صريعاً بسيف لا أفل ولا كَهَام**

**وقد أبلى الإله هناك خَيْراً وفعل الخيْرِ عِند الله نام1**

وأبرز الشعراء قوة المسلمين وهدّدوا الأعداء بها، وقدموها في إطار يبعث على الثقة فهذا كعب بن مالك يتحدث عن استجابة المسلمين للأمر الإلهي بأن يعدوا للأعداء ما استطاعوا من قوّة ومن رباط الخيل ليرهبوهم بها يقول:

**ونُعدّ للأعداء كُلَّ مقلص وَرْد و محجول القوائم أبلق**

1عادل جابر, شفيق محمد, المرجع السابق, ص 36.

**أمر الإله يربطها لعدوه في الحَرْبِ، إنّ الله خير موفق**

وعندما استشعر كعب بن زهير قُوّة المسلمين في المدينة المنورة ،أخذ يهدّد كفّار مكّة، ويتوعّدهم ويصوّر لهم أن فتح مكة بات وشيكاً. يقول:

**عَدِمْنا خَيْلَنا إن لم تروها تُثير النفعَ مَوْعِدُها كداء**

**يبارين الأعنةَ مُصْعِدات على أكتافها الأسلُ الظُّماء**

**فإما تعرضوا عنّا اعْتَمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء**

**وإلا فاصبروا لجلادِ يَوْم يُعزّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ 1**

" الرسول صلى الله عليه وسلم جعل رسالة الإسلام إلى الناس جميعا، فموقفه من الشعر هو موقف القرآن والإسلام بصورة عامّة، لا تخرج الأحاديث الشريفة عن المفهوم الإسلامي العام في النظرة إلى الإنسان، ومحاولة توجيهه الوجهة الخيّرة البنّاءة، هكذا نجد في الأحاديث النبويّة الشريفة في إطار الآيات القرآنية الكريمة السابقة إلى تصنيف الشعراء إلى صنفين ؛خيّر ملتزم بالدين والخلق القويم، ومنحرف ، وإذا كان بعضهم قد فهم ظاهر الآيات القرآنية الكريمة مبتورة ،و استنتج منها موقفا من الشعر و الشعراء فإنّ

الأحاديث النبوية الكريمة قد تحمل على ظاهر معانيها، وليس تفسيرها أيضا ممّا يوجب المناقشة والتحليل"

1 عادل جابر, شفيق محمد, المرجع السابق ص 38.

# المحور السادس : المنطلقات السياسية والثقافيّة وأثرها في الشعر الأموي

## 1. الإطار الزماني والمكاني للعصر الأموي

### أ.الإطار الزماني للعصر الأموي:

" العصر الأموي هو عصر الدولة الأموية في الشام من سنة 41 إلى سنة 132 للهجرة (661-750م)، نحو تسعين عاما من الدهر، و الخلفاء الذين حكموا في هذه الدولة فرعان: الفرع السفياني والفرع المرواني.

بعد معركة صفّين نادى معاوية بن أبي سفيان والي الشام بنفسه خليفة على الشام وحكم عشرين سنة من السنة 41هـ إلى السنة 60هـ(661-680م) ثبّت الملك في أثناءها لبني أمية و جعل الخلافة وراثية في نسله، وكانت المشكلة الأساسيّة التي واجهت معاوية أنّ أقطار الخلافة الباقية ؛الحجاز والعراق ومصر وماوراءها كلها لم تكن تابعة له "1

" بلغ عدد خلفاء بني أمية أربعة عشر خليفة، بدأت بمعاوية بن أبي سفيان وبعده ابنه يزيد ،ثم معاوية بن يزيد ،وبعده مروان بن الحكم إلى آخر الخلفاء مروان بن محمد "2

### ب.الإطار المكاني للعصر الأموي:

" لقد أثبت خلفاء بني أمية أنّهم على قدر عال من الاقتناع بسياسة رسول الله

- صلى الله عليه و سلّم- الخارجية، فالدولة الأموية استوعبت حجم وطبيعة الخطر القادم من الدول غير الإسلامية على الإسلام، وآمنت أن خير وسيلة لمواجهة هذا الخطر هي الهجوم

---

1-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إل سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط4، 1981م، ج1، ص351.

2-كم عدد خلفاء بني أمية، موقع المرسال، almirsal.com، 30مارس2023، 17:10.

وليس الدفاع "1 " أمّا غايتها النهائية من تعاملها الخارجي فكان حمل راية الإسلام إلى أرجاء العالم القديم كله، فأحيوا حركة الفتوحاتالكبرى متوغّلين في أقطار الدولة البيزنطية حتى مياه البوسفور شرقا، كما فتحوا شرق العالم القديمحتى اقتربوا من حدود الصين، ثم وصلوا حتى شاطئ المحيط الأطلنطي غربا عابرين إلى اسبانيا، ومنها مقتحمين غرب أوربا حتى قلب فرنسا وضفاف اللّورين، فبلغت بذلك حدودا لم تتجاوزها الدولة الإسلامية بعدها كدولة واحدة 2"

" إن أبرز فنون الأدب في العصر الأموي وأوسعها نطاقا كان الشعر، حيث تأثّر بالأحداث السياسية،فظهر الشعر السياسي الذي برز فيه الشّعراء المناصرون للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي، كما عُرف الشعر المستمر بين الشعراء المُتهاجين"3

## المنطلقات السياسية و أثرها في الشعر الأموي

### 1-الحياة السياسية في العصر الأموي :

### أ- الحياة السياسية:

إنّ الحياة السياسيّة في عصر بني أميّة حافلة وثائرة على عكس ما كان موجودا في صدر الإسلام ،وما ساهم في تطور هذه الأحداث السياسية هو بروز الأحزاب السياسية التي تنادي بشرعيتها في الولاية والحكم وكان الشعر هو الأداة التي تسيطر بها وتعبّر بها عن آرائها واختلافاتها "فلم ينهض الشعر السياسي نهضة ملموسة؛ كما نهض في العصر الأموي .فقد

1-عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1983م، ص86.

2-نادية محمد مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي الدولة الأموية دولة الفتوحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1996م،ج8، ص9.

3-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إل سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط4، 1981م، ج1، ص360-361.

ظهرت ثلاثة أحزاب سياسية؛ الخوارج ،والشيعة ،والزبيريون. فقد ساهم هذا الظهور في التنوع الشعري وجودته"1.

لم تكن الحياة السياسية في عصر بني أمية حياة هادئة ، بل كانت حياة ثائرة، إذ كان الأمويّون يُعدّون في رأى كثير من الأمّة الإسلاميّة غاصبين للخلافة . والبلد الوحيد الذي كان هادئا إلى حد ما هو الشام، فقد وجد أهله في بني أميّة ورثة شرعيين لآل جَفْنَة ، واستطاعوا عن طريقهم أن يحققوا مالم يكونوا يحلمون به في القديم ، إذ أشرفوا وسادوا لا على العراق ، مركز المناذرة خصومهم في الجاهلية فحسب ،بل على العالم الإسلامي كلّه وإذا تركنا الشام إلى الحجاز والعراق ،وجدنا فيهما فنونا من السخط على بني أميّة وحكومتهم، وسرعان ما تكون تحت تأثير هذا السخط أحزاب سياسية ثلاثة كانت تعارض بني أمية وتخاصمهم، وتدعو إلى الانتقاض عليهم، وهى أحزاب الزبيريين والخوارج والشيعة، وقد تألّفت هذه الأحزاب حول فكرة الإمامة أو الخلافة ومن أحق بها من المسلمين.

"أما حزب الزبيريين وهم أتباع عبد الله بن الزبير فكان يرى أن تعود الخلافة إلى الحجاز ، وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأوّلين ، بينما كان حزب الخوارج في العراق يرى أنّ تُردّ الخلافة إلى العرب والمسلمين جميعا"2

ليولّوا عليهم أكفأهم وأجدرهم بها، "وكان بجوارهم في العراق أيضا حزب الشيعة وكان يرى أن تُردّ الخلافة إلى بني هاشم، فهم بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أصحابها الحقيقيون.

**أغراض الشعر الأموي :**

1. الإشادة لبني أمية والاحتجاج لخلافتهم (المديح السياسي)

1 حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 134

2شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، 1952م، ص 58.

2. التصدي لأعداء بني أمية ومناهضة خصومهم (الهجاء السياسي)

3. تخليد ذكرى من قتلوا من زعماء الحزب وأبطاله (الرثاء السياسي)

**الخصائص الفنية للشعر الأموي:**

**1.** امتزاج المعاني الدينية بالعناصر السياسية.

**2.** تكثر في أشعارهم صفات الأئمة التي نجدها تكثر في الشعر الشيعي.

**3.** شيوع المعاني الدينية في شعرهم المناهض للخصوم (الهجاء السياسي) .

**4.** ضعف عنصر الصدق الانفعالي في شعر الأمويين بصورة عامة .1

وأظن أنّه قد اتضح الآن أن الشعر في عصر بني أمية تطور تحت تأثير السياسة، فإن الشعراء توزعوا على الأحزاب، وأخذوا ينظمون شعرهم مُعبّرين عن نظريات سياسية أكثر نفرا وكان يليه حزبا الشيعة والخوارج، أما حزب الزبيريين فكان أقل الأحزاب شعرا وشعراء، "وكان هذا الشعر السياسي يصبغ بصبغة دينية، لأنه في الواقع كان يتصل مباشرة بفكرة إمامة المسلمين وخلافتهم، فطبيعي أن يَصبّ فيه الدين وأن تسيل منه أشعة إلى قصائده ونماذجه"2.

**حزب الزبيريين وشعرهم:**

"كان في الحجاز هذا الحزب الأقصر عمرا، حيث استمرّ مدة ثماني سنوات فقط، وهي فترة غير كافية لتطوير نظرية سياسية ناضجة أو واضحة المعالم، لذا كان هذا الحزب الأضعف في ذلك العصر من حيث التعبير عن فكرته في الشعر، أكثر الأشعار التي نظمت حوله تتعلق بحروب القيسيّة واليمنيّة في الشام، وقد ورد جزء كبير من هذه الأشعار في الجزء

1 على عشمان يوسف عاتي، المرجع السابق، ص174

2 شوقي ضيف، التطور و التجديد، المرجع السابق، ص84

الخامس من كتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري ومع ذلك فإنّ هذه الأشعار ليست شعر حزب بالمعنى التقليديّ، بل هي أقرب إلى الهجاء والحماسة على غرار الشعر في العصر الجاهلي"1.

وأهم شاعر اتصل بهذا الحزب واشتهر بزبيريته هو ابن قيس الرقيات، فقد اتّصل بمصعب وتخصّص به حتى كاد يكون شاعره، وله فيه مدائح كثيرة، وقد ذهب يتغنى بزوجتيه: "سكينة بنت الحسين" و"عائشة بنت طلحة" ، وما امتازتا به من جمال باهر، وفى الوقت نفسه كان يتغزل غزلا مُفحشا بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك، يريد أن يسقطها من علیائها على سفح غزله الفاضح، وفى شعره ثورة واضحة على عبد الملك وأصحابه من أهل الشام مثل قوله2:

**كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء**

**تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء**

**أغراض الشعر الزبيري :**

- الإشادة بآل الزبير والتأييد لخلافتهم.

- التصدي لخصوم دعوى الزبير

-رثاء قتلى الزبيريين

**خصائص الشعر الزبيري :**

1. ضعف الاحتجاج والبرهنة على صواب دعوتهم.

1 أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار – رياض زركلي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص 69.

2 أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس، المجلد الأول، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2002م، ج1، ص 51

2. قلة نتاجهم الشعري

3. قلة المعاني الدينية في شعرهم.

4. قوة وجزالة شعرهم تشبه فصاحة أهل البادية.

5. انفراد شعرهم في التصدّي لخصومهم بضروب من الغزل الذي أسماه الباحثون بالغزل السياسي أو الكيدي أو الهجائي.1

**حزب الخوارج وشعرهم:**

سموا الخوارج لأنهم خرجوا على إمامهم الذي بايعوه، وهو عليّ، وقيل بل هم الذين سَمُّوا أنفسهم بهذا الاسم من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.﴾2، وسموا أنفسهم الشراة أيضاً من قوله عز وجل: ﴿ومن الناس من يَشرِي نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾3.

إذ لم نتمكّن من العثور على شعراء يُجسّدون نظريّات الزبيريين، فإنّ شعراء الخوارج كثيرون، تملأ أشعارهم وكتاباتهم صفحات الكتب الأدبية، وتبعث الحماسة والشجاعة. ما يميّزهم حقًا هو دورهم كحزب حرب عصابات، يحتضن الموت كما لو كان رغبتهم الخاصة. وكان إيمانهم الراسخ بمذهبهم ونظريتهم قوياً لدرجة أنّ بعض فئاتهم لم تردعهم الحشود الغفيرة من الأمويين وولاتهم في العراق. يتمتع شعر هذا الحزب الفدائي بقدرة فريدة على لمس قلوب جمهوره نابعة من الإيمان العميق بقضيتهم. مقتنعين بأن عدم القيام بذلك سيجلب عليهم اللعنة، أو حتى غضب النار.

1على عثمان يوسف عاتي، الأدب في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العثمان اليمين، 2020، ص176

2 سورة النساء، الآية: 100

14 سورة البقرة، الآية: 207

ومن هنا يقول الطرماح وقد ذهب يشيد بالخوارج إشادة بالغة1:

**لِلّهِ دَرُّ الشُراةِ إِنَّهُمُ إِذا الكَرى مالَ بِالطُلى أَرِقوا**

**يُرَجِّعونَ الحَنينَ آوِنَةً وَإِن عَلى ساعَةً بِهِم شَهَقوا**

**خَوفاً تَبينُ القُلوبُ واجِفَةً تَكادُ عَنها الصُدورُ تَنفَلِقُ**

**كَيفَ أُرَجّي الحَياةَ بَعدَهُم وَقَد مَضى مُؤنِسيَّ فَانطَلَقوا**

**قَومٌ شِحاحٌ عَلى اِعتِقادِهِمُ بِالفَوزِ مَمّا يُخافُ قَد وَثِقوا**

"وهذه صورة رائعة للخوارج إذ نرى الطرماح يُصوّرهم مسهدين يتلون آيات الله ،ويشهقون في تلاوتها ، فالقلوب تبيت واجفة من خوف ربّها حتى لتكاد الصدور تشقق عنها . وهم يموتون مستشهدين في هذه المقيدة التي عرفوا بها، وإنهم ليسترخصون أرواحهم في سبيلها واثقين من فوزهم برضوان ربّهم وجنانه ، وإنّ الطرماح ليتمنّى أن تكون خاتمته كما تمتهم"2

**أبرز شعراء الخوارج:**

قطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان والطرماح ، وشعرهم وأقوالهم المنثورة في كتب الأدب ولبعضهم ديوان مطبوع كالطرماح ،وسبب ضياع أدبهم وندرة أخبارهم التاريخيّة على عظم شأنهم في التاريخ. يعود إلى أن السّلطة الحاكمة فيما يبدو لم تكن تسمح بتداول ما لا يوافقها.

قطري بن الفجاءة من قادة الخوارج وكان شاعرا وخطيبا بليغا دعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان في خلافة عبد الله بن مروان سنة 79هـ.امتاز شعره بسمات الشعر الخارجي حماسة العقيدة،وروح الشجاعة والفدائية و التقليل من شأن الحياة والموت

1 الطرماح، الديوان، العصر الأموي، على الرابط: https://www.aldiwan.net/

2 شوقي ضيف،التطور و التجديد، المرجع السابق، ص93

واتخاذ النسيب وسيلة فنية لإبراز رأيه وتصوير مواقفه في الحروب ،وإيثاره نعيم الآخرة على متاع الدنيا، ومن شعر قطري بن الفجاءة قوله:1

**أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً مِنَ الأَبطالِ وَيحَكَ لَن تُراعي**

**فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي**

**حزب بني أمية وشعرهم:**

هو حزب الدولة والحكومة الذي اندمج فيه أهل الشام والعديد من البلدان الأخرى. وقد رفع هذا الحزب من شأن خلفاء بني أمية وأعطاهم منزلة عالية ،واعتبرهم خلفاء الله ورسوله في أرضهم حيث كانت طاعتهم واجبة وحمايتهم مضمونة.

ونجد هذه النزعة واضحة في خطب ولاة بني أمية وقوادهم، ومن أطرف ما يصورها خطبة زياد حين ولاه معاوية على البصرة، وهي الخطبة الموسومة بالبتراء، فقد جاء فيها : « أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بقي الله الذي حولنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفي تناب مناصحتكم لنا، وادعوا الله بالصلاح لأئمّتكم ، فإنهم ساستكم المؤدبون، وكهفكم الذي إليه تَأوون"2

ويروي الرّواة أنّ مسلم بن عقبة، قائد أهل الشام في حربهم لأهل المدينة حين ثأروا على يزيد بن معاوية، خطب في جيشه وهو على أبواب المدينة فقال:"يا أهل الشام، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدافعوا به عن دينهم، وأن يُعِزُّوا به نَصْرَ إمامهم"3. وقد حارب أشياع عبيد الله

1 عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 151

2 بن عبد ربه، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص 125

3 بن عبد ربه، العقد الفريد، المرجع السابق، ص 128

## 2.التأثير الفكري والثقافي في الشعر الأموي:

إذا أردنا تحليل العناصر المُؤثّرة في الشعر العربي في العصر الأموي نجدها عديدة وكثيرة، لكن يمكن إجمالها في أربعة عناصر أساسية وهي:

*الدين(الإسلام).

*الحضارة.

*الاحتكاك بالأمم الأخرى.

*الثقافة.

**الإسلام:**

طبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي، وهو تأثير يقوى ويضعف حسب نفسية الشعراء، إذا كان بينهم من تعمقه الإسلام ومن لم يتغلغل إلى أعماقه، على أنهم جميعا كانوا يستظلون بظلاله، وكان من حولهم الوُعّاظ والنُسّاك .يذيعون في مختلف الأجواء عبير وعظهم ونسكهم، سواء في المساجد الجامعة، أو في مقدمات الجيوش الغازية، وكانوا ما يزالون يحدّثون الناس عن البعث والثواب والعقاب، ونعيم الجنة وعذاب القبر، داعين دعوة واسعة إلى التقوى والزهد ومتاع الدنيا، ترامت من هذه المواعظ ومن القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأقوال الصحابة الأولين أشعة كثيرة نفذت إلى نفوس الشعراء وانعكست في أشعارهم على اختلاف موضوعاتها "[1]

" وإذا تحولنا إلى المديح وجدناه يتحول في كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية في الممدوح،ووثق هذا التصوير في مديح الخلفاء والولاة .لأنّ الحكم و الدين كانا مترابطين،فيقول كُثيَر في مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز:

1-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت، ص176-177.

تركت الذي يفنى وإن كان مونقا وآثرت ما يبقى برأي مصمم "1

" وأخذ الشعراء يهجون خصومهم بانحرافهم عن الدين، فأطالوا في وصفهم بالفسوق والبغي والطغيان كقول جرير في آل المهلب:

آل المهلب فرطوا في دينهم وطغوا كما فعلت ثمود فباروا"2

" ولعلنا لا نُبعد إذا قلنا إن شعر الحماسة كان أقوى في تأثره بالإسلام من شعر

الهجاء والمديح، فكان دائما في صفوف المحاربين قُصَاص ووعاظ يحثونهم على الجهاد في سبيل الله كقول نصر بن سيَار:

وامنح جـــــهادك من لم يرج آخرة وكن عدوا لـــقوم لا يصلون

وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهدا إن التقى خيره ما كان مكنونا

واعلم بأنك بالأعـــــــمال مرتهن فكن لذاك كثير الهم محزونا "3

كما طبع الرثاء بطوابع هذه الروح، وما يُطوى فيها من التسليم لله و الرضى بقضائه،فكل نفس ذائقة الموت وهو حتم في رقاب العباد، وعليهم أن يتذرعوا بالصبر الجميل.

**الحضارة:**

" كان للحضارة أثر بارز في خلافة بني أمية، ويتضح تأثر الأمويين بمظاهر الحضارة بشكل جلي، وقد انعكس تأثير الحضارة على المجتمع الأموي بشتى الجوانب بما فيها الإدارية والأمور المتعلقة بمسألة الخلافة وولاية العهد "4

1-ينظر: المرجع نفسه، ص178.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص179.

3-ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت ، ص180.

4-نديم يوسف المبيضين، مظاهر الحضارة في الشعر الأموي (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، 2014م، ص7.

" أدخل الأمويون مبدأ الوراثة في النظام السياسي، ابتعد تدريجيا عن مبدأ الشورى، "1 فظهر المديح للخلفاء الأمويين ومنه قول الأخطل مادحا عبد الملك بن مروان:

" إلى امرئ لا تـــــعدَينا نوافله أظفره الله فليـــهنأ له الظفر

الخائض الغمر، والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر "2

كما جاء تأثير الحضارة على المجتمع الأمويّ بظهور مجالس الخمر، " فافتتن بعض الشعراء بتصوير الخمرة، متخذين منها موضوعا يفصح عن الحياة في المجتمع الأموي الذي استطاع أن ينفلت من قيود صدر الإسلام الصارمة في تحريم الخمر ومجالسها "3

وقال الوليد بن يزيد مصرحا على إقباله على الخمر في الصباح الباكر:

"قم فاسقني قبل أصوات العصافير إني أرى الصبح قد نادى بتبشير

صفراء من خمر بيـــروت معتقة ترمي النَدامـــــى بتخثير وتفتير "4

تمتعت المرأة في العصر الأموي بمكانة عظيمة، فشاركت المرأة في دراسة العلوم الدينية من الفقه والحديث، وكذلك الشعر والآداب، أما فيما يتعلق بالأخلاق والعادات، فقد تأثرت المرأة تأثرا مباشرا بحياة الترف والثراء، فظهرت القيان والجواري وأصبح لهن دور مهم في المجالس، ونذكر هنا قول مالك بن أسماء:

" وممرنا نسوة عطرات وسمـــــاع و مرقف فنزلنا

1-المرجع نفسه، ص7.

2-المرجع نفسه، ص8.

3-نديم يوسف المبيضين، مظاهر الحضارة في الشعر الأموي (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، 2014م، ص25.

4-حسين عطوان، شعر الوليد بن يزيد، مكتبة الأقصى، الأردن، ط1، 1979م، ص62.

وحديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا "1

كما تغزل الشعراء بجمال المرأة وعطرها وحليها، وأغانيها ولباسها.

انتشرت الموسيقى والغناء في العصر الأموي كنتيجة لحياة الترف والغنى، فكان الشاعر حريصا على أن ينظم شعره في أوزان قصيرة حتى يكون صالحا للغناء، يقول الوليد بن يزيد:

" اصدع نجي الهموم بالطرب وأنعم على الدهر بابنه العنب "2

**الامتزاج بالأمم الأجنبية:**

" اندفع العرب من جزيرتهم ينشرون الإسلام وتعاليمه السمحة، في أقطار الأرض ففتحوا العراق وإيران وخراسان والشام ومصر وبلاد المغرب، وأخذت تتعرب الأقطار الأخرى، التي لم يكن لها عهد بالعروبة من قبل "3

" وبمجرد أن تمت الفتوح أخذ العرب والموالي يعيشون حياة مشتركة، حتى في المدن التي اختطها الفاتحون لمعسكراتهم مثل البصرة والكوفة والفسطاط، فإن العرب اختلطوا فيها وفي غيرها من المدن بالأجانب الذين قدموا لهم خدماتهم في الحرف والزراعة والتجارة "4

من خلال هذا الامتزاج للعرب بالأمم الأخرى، نجد أن الشعر تأثر أيما تأثر بهذا الامتزاج وأول هذا التأثر هو ظهور كلمات من لغات غير العربية في الشعر بعد تعريبها، ومثال ذلك قول الفرزدق مخاطبا جريرا:

---

1-الأصفهاني، الأغاني، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، د ت، ج6، ص127-128.

2-عبير محمد فؤاد السلطان، شعر الوليد بن يزيد دراسة موضوعية فنية(رسالة ماجستير)، جامعة الأقصى بغزة، 2014م، ص77.

3-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت، ص169.

4-المرجع نفسه، ص169.

" ونحن إذا عدت تميم قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدرعي بيـــــذق في البياذق "1

فكلمة بيذق هي كلمة معربة من الفارسية من كلمة بيادة الفارسية.

" وعمد العرب إلى استخدام تعبيرات مبسطة، حتى يفهم عنهم الموالي ويلوكوا ما يلفظونه بسهولة، "2 وبهذا جاءت لغة الشعر سهلة بسيطة، وانتشر اللحن في العربية خاصة عند الموالي وهذا ما أشار إليه بعض الشعراء، ومثال ذلك " قول شاعر عن أم ولده:

" أول ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر "3

" ووجد الموالي صعوبة في نطق بعض الحروف العربية، فكانوا يستبدلون القاف كافا، والحاء هاء، ولهذا اتجه الناس إلى تأديب أولادهم في البوادي العربية، فنجد أن شعراء المدن يلحنون من أمثال الطَرماح والكميت، وشعراء البادية كانوا ذو قوة في اللغة من أمثال الفرزدق"4

**الثقافة:**

" إذا أخذنا نحلل عناصر الثقافة العربية في هذا العصر وجدناها تعود إلى ثلاثة جداول مهمة: جدول جاهلي وجدول إسلامي وجدول أجنبي، فأما الجدول الجاهلي فيبدو في الشعر ومعرفة أنساب القبائل وتقاليد الجاهلية، وقد أقبل العرب يعبَون من هذا الجدول عبَا "5

1-المرجع نفسه، ص172.

2-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت، ص170.

3-المرجع نفسه، ص173.

4-ينظر: المرجع نفسه، ص175.

5-المرجع نفسه، ص199-200.

ونبغ ثلاثة شعراء من البادية لإحياء التراث الجاهلي هم جرير والأخطل والفرزدق، " بل إن النقاد لمحوا التشابه البيَن بين الثلاثة الشعراء الكبار في هذا العصر وبين ثلاثة من كبار شعراء الجاهلية.

يقول أبو عبيدة:(كان أبو عمرو يشبَه جريرا بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة)"1

" فهؤلاء الشعراء كانوا رواة للقديم، وكانوا يتأثرونه، ويجرون في مجاريه، وكانوا ناظرين فيه"2

" ومن هنا كان لشعر هؤلاء الشعراء قيمته الكبرى، فلم تجئه هذه القيمة لأنه وثيقة ضخمة سُجلت فيها ألفاظ هذه اللغة الواسعة، وصور التعبير فيها، وتردد في جنباتها صدى تلك الحياة الذاهبة المغيبة عن الناس "3

" وإن قصيدة ذي الرمة:

ما بال عينيك منها الدمع ينسكب كنه من كل مفرية سرب

ليست أكثر من ترجمة مبسوطة بعض البسط لمعلقة لبيد، أشبه شيء بالشرح الدقيق لها، حتى ليقع

الإنسان في عجب من قدرة ذي الرمة الخارقة على هذا النقل، مع استباقه ذلك القبس من الطبع في الترجمة الأمينة "4

---

1-نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث هجري، مطبعة دار الكتاب المصرية، مصر، د ط، 1950م، ص187.

2-المرجع نفسه، ص189.

3-المرجع نفسه، ص189.

4-المرجع نفسه، ص190.

" أما الجدول الإسلامي فيبدو في القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وغزواته، ثم في الفتوح الإسلامية وأحداثها وحروب علي وخصومه "1

" إن الإسلام والفتح الإسلامي قد جعلا العرب يحتكون بأمم غير عربية، أحب العرب في هذا الاحتكاك الجمال الغريب فتزوج العرب بغير العربيات فنشأ بذلك جيل مولَد بين العرب وغير العرب"2

" طلب العرب ما عند العجم من معارف تطبيقية نافعة، فتعرفوا على تخطيط المدن وشق الترع والقنوات وضبط الدواوين وكذلك تحولوا إلى المعارف النظرية البحتة، يدرسونها من الثقافة اليونانية والفارسية من مثل الكيمياء والطب والنجوم، وانتشرت الترجمة في هذا العصر ما سهل ازدهار العلوم والمعارف "3

" عاصر شعراء العهد الأموي نشأة (علم الكلام)، لكننا لم نجد مسائل الجدال الديني ولا قضايا البحث العقلي، ولا بوادر الاتجاه العلمي قد اتخذت طريقا إلى أشعارهم، ونستطيع أن نقول إن الشعر كان يمثل جانبا من الحياة الأموية، الجانب السياسي و الجانب اللغوي في الدرجة الأولى أما الناحية الاجتماعية الحضرية الجديدة فكانت لا تزال مشوبة بقدر من البداوة، والناحية الأدبية كانت أكثر لصوقا بالجاهلية "4

**الحياة الثقافية و أثرها في الشعر:**

1-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت، ص201.

2-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إل سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط4، 1981م، ج1، ص355.

3-ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط7، د ت، ص202-203.

4-ينظر:عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع الجاهلية إل سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، ط4، 1981م، ج1، ص366.

اتسعت رقعة الدّولة الإسلامية في عهد بني أميّة، فشملت الأندلس وشمال أفريقية ،والشام وجزيرة العرب، والعراق وفارس وجزءاً من الهند، كما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى ما سوى ذلك من النواحي والبلاد . وخضعت هذه الأمم كلّها للحكم العربي ، سواء منها الدّول ذات الحضارة ؛أو الدول الّتي لم تصطبغ بصبغتها ، فوجدوا في الإسلام العدل والأمن والسلام ،وأخذوا يتعلّمون اللّغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ، ولحاجتهم إليها في التّفاهم مع الولاة والحكّام والعمّال ، وهى فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك، فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والنيابة 1

وقد ازدهرت الثقافة في العصر الأموي ازدهارا كبيرا في مختلف العلوم، بدءا من القرآن الكريم وحفظه وتفسيره، والأحاديث النبوية وروايتها وتدوينها، وكذلك الفقه وغيره من العلوم الأخرى.

وبسبب مكانتها الدينيّة كانت مكّة المكرّمة ،والمدينة المنورة من أهمّ المراكز العلميّة في ذلك الوقت، حيث كان يقصدها طُلاّب التفسير والحديث والفقه ،وفي مكة أسّس عبد الله بن عباس، حكيم الأمّة وترجمان القرآن الكريم، ، مدرسة التّفسير.أما في المدينة المنورة فقد كان فيها كثير من العلماء المبرزين كعمر وعلي، ولكن أشهر من برع في العلم وتخصص فيه زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر. وكان زيد له قدرة فائقة على استنباط

الأحكام من الكتاب والسنّة، وفي حال عدم وجود الكتاب والسنة من الرأي، وكان أعلم الناس بالمواريث، لأنه كان له عقل فقيه وكان أعلم الناس بالفرائض.2

وقد بلغت هذه العناية بالأدب في التقرّب من الأدباء ،والرغبة في السّماع منهم وعنهم، والتّنافس بين الشّعراء في الوصول إلى مجالس الخلفاء والأمراء والولاّة، وظهور الأدب السياسي، وإنشاء

1عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط1، 1990، ص53

2 زكريا عبد المجيد، النوتي الأدب الأموي تاريخه وقضاياه، ط1، مطبعة الحسين الاسلامية، 1993م، ص35

ديوان الرسائل وجمع أشعار الرواة، والميل إلى التّزهيد في الأدب, والاحتفاء بالأدب، إلى تنظيم الندوات الأدبية للمشاركة في الحوارات الأدبية.

كما أثمرت هذه العناية باللغة والأدب ثمارا كبيرة منها:

- نهضة الأدب والشعر وتعدد فنونهما .
- قيام حركة التجديد في الأدب والشعر، والنثر الفنى .
- حرص الرواة على جمع آداب العرب ودواوين الشعراء .
- حركة التأليف فى الأدب واللغة والعلوم، وحركة الترجمة فى العربية1.

1عبد المنعم خفاجي،الأدب العربي وتاريخه، المرجع السابق، ص56.

# المحور السابع :الخلافات الفكرية وأثرها في الشعر العربي

## الخلافات الفكريّة وأثرها على الشعر والأدب :

شهد العالم الإسلامي في فترة العصر الأموي العديد من الخلافات الفكرية والسياسية التي أثرت بشكل كبير على الأدب والشعر، هذه الخلافات كانت نتيجة للتغيرات السياسية والاجتماعية والدينية التي مرت بها الدولة الأموية ندرج منها1:

### 2-الخلاف السنيّ الشّيعي:

نشأت الخلافات بين السنة والشيعة بعد وفاة النبي محمد، وتفاقمت بشكل كبير خلال فترة الحكم الأموي، كانت هذه الخلافات تتعلق بمن له الحق في قيادة الأمة الإسلامية، انعكس هذا الصراع في الشعر من خلال قصائد تدعم كل طرف، وأصبحت وسيلة للتعبير عن الولاء السياسي والديني.

### 3-الخلاف القبلي:

كانت هناك صراعات مستمرة بين القبائل العربية المختلفة، خاصة بين القبائل القيسية واليمنية، أثر هذا الصراع على الأدب حيث أصبحت القصائد ساحة لتبادل الاتّهامات والافتخار بالأنساب والمآثر القبلية.

### 4-حركة الخوارج:

كانت حركة الخوارج تعبّرعن رفضها للخلافة الأمويّة والسياسات التي اعتبروها منحرفة عن الإسلام الصحيح، وترك الخوارج أثرا كبيرا على الأدب والشعر من خلال القصائد التي تُندّد بالفساد ، وتدعو إلى العدالة والعودة إلى المبادئ الإسلاميّة الأصيلة.

1 محمد ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت، ص 214

### 5-أثر الخلافات على الشعر والأدب:

- **الشعر السياسي:**

أصبح الشعر وسيلة للتعبير عن الولاء السّياسي، إذ كان الشعراء يمتدحون الخلفاء والأمراء لكسب رعايتهم ودعمهم، في حين يستخدم آخرون الشعر لنقد السّياسات الأمويّة والتعبير عن المعارضة.

- **الشعر القبليّ:**

تأثّرت القصائد بقوة بالنزاعات القبلية إذ كان الشعراء يمدحون قبائلهم ويهجون أعداءهم، مما جعل الشعر سلاحا في الصراعات القبلية.

- **الشعر الدينيّ:**

تميّز شعر هذه الفترة بالتّعبير عن الخلافات الدينية،فشعراء الشّيعة كانوا يعبرون عن ولائهم لآل البيت ومظلوميتهم، بينما كان شعراء الخوارج يركزون على مبادئهم الدينية والسياسية1.

- **التطوّر الفنيّ:**

على الرّغم من الصّراعات شهد الأدب في العصر الأموي تطورا فنّيا كبيرا، حيث كانت هناك محاولات لتجديد أساليب الشّعر والابتعاد عن التقليديّة الصّارمة.

وعليه يمكن القول إن الخلافات الفكرية والسياسية في العصر الأموي أثرت بشكل كبير على الأدب والشعر، حيث أصبحت القصائد مرآة للصراعات والتطورات الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة.

## تطوّر موضوعات الشعر و مضامينه:

1 محمد ابن جرير الطبري، المرجع السابق، ص 216

## 1-التطوّر و التّجديد في موضوعات الشعر:

أظهر الأمويّون الذين شغلوا مناصب مختلفة في السلطة؛ مثل الخلفاء والأمراء والولاة والقادة والرؤساء، افتتانا متزايدا بالشّعر وإعجابا عميقا بالشعراء، وقدّموا لهم الهدايا الفخمة والقيّمة. ونظّموا لقاءات مُخصّصة لإلقاء الشّعر وتقديره، وممّا لا شكّ فيه أنّ الشعر شهد نهضة ملحوظة خلال هذه الفترة. وكانت أبواب الشعر ومجالس الشعراء مفتوحة على مصراعيها، بما في ذلك سوق مربد وكنيس الكوفة، وجرى نقاش حاد حول شعراء الجاهلية وأعمالهم، وكذلك الشعراء الأمويين وأبرز ممثليهم، كما ازدهرت الحركة الأدبية في المدن الإسلامية البارزة، خاصة...1

كان افتتان القبائل بالشعر في البصرة والكوفة بمثابة وسيلة لإحياء تاريخهم الغني وإنجازاتهم اللامعة وذكرياتهم العزيزة وجذور أجدادهم.

حيث كان شعراء القبائل الصوت والروح والتّرسانة لمجتمعاتهم، لقد كانوا مدافعين هائلين ضدّ الخصوم وتجسيدًا لهوية شعبهم.

وإذا كانت مظاهر نهضة الشعر كثيرة فإنّ من أسبابها:

- تعدّد الأحزاب؛سياسية كالشّيعة والأمويّة والخوارج والزبيريّة ، إلى أحزاب دينيّة ، ومن بينها : المرجئة والجبرية والقدرية .
- تقدير الحُكّام للشعراء ورعايتهم لهم ، واتّخاذ الشّعراء ناطقين باسمهم ، ونَجدُ مظهر ذلك في كعب بن جميل الّذي اتّخذه يزيد شاعر الشّام، حيث كان النّجاشي شاعر العراق ، وكان مسكين الدّار من المؤيّدين لبيعة يزيد، وقد هجا الأخطل الأنصار بأمر من يزيد .

1 انظر: عبد المنعم الخفاجي ، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 80

- ازدهار الثّقافة العربيّة في مختلف فروع المعرفة والعلم .1
- ازدهار الثقافة الأدبيّة في الشّعر والأدب والنّقد والقصص ، وإحياء التّراث الأدبيّ القديم، وما تبع ذلك من عقد المجالس لسماع الشعر وإنشاده ونقده وروايته ،

وقدا هتمّ الخلفاء بتربية أبنائهم على الشّعر و تذوّقه ، حتّى كان معاوية يقول :" اجعلوا الشعر أكيد همّكم"2.

هذا إلى خصوبة الحياة السياسيّة ، وشدّة الصّراع فيها بين مختلف الأحزاب والعصبيات والطّوائف ، وإلى كثرة مظاهر الحضارة ومشاهدها ، و إلى التأثر بالشعر الجاهليّ، ومناهجه والتأثر كذلك بالقرآن و بلاغته وبالحديث النبوى الشريف وفصاحته أيما تأثر ، وإلى قيام الخصومات الأدبية بين الشعراء ، وإلى اهتمام القبائل بالشعر إحياء لمفاخرها ومآثرها، و إلى تأثّر الشّعراء بآداب الأمم الأخرى وبخاصّة الفرس.

وكان من آثار هذه النّهضة الشعريّة ارتفاع منزلة الشّعر والشاعر في عصر بني أميّة ، ونشأة علوم حول الشعر ؛ كرواية الشّعر ونقده وتأليف كتب لمختارات فيه ، ومن آثارها كذلك قيام حركات التّجديد في الشّعر ، وصقل الشعراء لفنّهم وتهذيبهم لأساليب الشّعر، وتجديدهم في معانيه وسُمُوّهم بأخيلته .

**2-من بيئات الشّعر الأمويّ:**

على أنّ الشعر الأمويّ إنّما كانت بيئاته ؛هي الحجاز ونجد والعراق والشام، فهي مهد الشّعراء، وفيها نهضة الشّعر، أمّا مصر والشمال الأفريقي، فلم تحفل بالشّعر ولا بالشعراء

1انظر: عبد المنعم الخفاجي ، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 81

2المرجع نفسه، ص 81

في عهد بني أميّة ,لأنّها بيئات جديدة في الأدب والشّعر، ولم تَسْتَرع انتباه الشعراء كثيرا في هذا العهد، أمّا بيئة الحجاز فقد اهتمّ أهلها بالشّعر، وعُنوا به و بنقده عناية شديدة، فكان أن شاع التغنيّ به، وظهرت فنون جديدة منه : كالغزل القصصيّ ، والغزل العذريّ، وقد أغدق الخلفاء على شباب الحجاز المال والعطاء، ليصرفوهم عن المطالبة بالخلافة، فذاع التّرف، وانتشر النّعيم ، وكثر اللّهو .

- وأمّا بيئة العراق فكانت صبغتها ثوريّة ، وانطبع شعرها بالطابع الثّوري، وظهر فيه تبعا لذلك لون جديد هو الشعر السياسي ، الذي كان يدور حول الخصومات السياسيّة بين الخليفة ، ومعارضيه من الأحزاب ،وقد اهتمّ وُلاّة العراق بالشعر ، وأغدقوا على الشعراء المال ، ومن أشهرهم زياد والحجاج .

- وأمّا بيئة الشام حيث عاصمة الخلافة ومُستقرّ بني أميّة ، وحيث المال و التّرف ، فقد تساقط عليها الشّعراء ، طلبا للرَّفه ، وإيناسا للعطاء ، وطمعا في المال ، وكانت قصائد التّهنئة والمدح والفخر، تُلقى بين أيدي الخلفاء والأمراء والوُلاّة في دمشق، وفى غيرها من مدن الشّام العامرة الحافلة بأسباب النشاط.

- **الخلافات المذهبيّة:**

- كان الخلاف حول موضوع الخلافة أحد الأسباب التي أدّت إلى إضعاف الدولة الأمويّة ومن ثَمَّ زوالها، والمعروف أنّه وجدت في العصر الأموي أربع جماعات في الميدان السياسيّ1 .

- **الأولى:** أنصار بني أمية وأغلبيتهم من السنّة.

- **الثانية:** أنصار العلويّن من الشّيعة الذين حصروا الخلافة في نسل علي بن أبي طالب ، وقد حملوا لواء المعارضة طيلة العصر الأمويّ. إلا أنّهم مُنُوا بالفشل، وقد أدّى فشلهم هذا

1 نبيلة حسن محمد في تاريخ الدولة العربية المرجع السابق ص 101

إلى تحويل حركتهم إلى عقيدة دينيّة عاطفيّة شبه باطنيّة، وأن يختفوا في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة حتى تَسْنَحَ لهم فرصة الظّهور..

- **الثالثة:** جماعة الخوارج الّذين لا يؤمنون بالوراثة كأساس لنظام الحكم ، ولا يرون حصر الخلافة في جنس معيّن أو بيت معيّن، بل يعتقدون أنّ الخلافة للأمّة .يكون الاختيار فيها هو الأساس، كما أعلنوا غضبهم واشمئزازهم من شرور الحُكّام ومطامعهم، لهذا كانت هذه الجماعة معارضة للخطّ الأمويّ، وقد اشترك أفرادها في الفتن ،الّتي قامت ضدّ الدّولة الأمويّة. كما انتشر عدد كبير منهم في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة بدمشق..1

- **الرابعة:** جماعة العبّاسيين الذين دخلوا ميدان السياسة في أواخر العصر الأموي، لينافسوا الأمويّين والشّيعة معًا، ويبدو أنّ هؤلاء كانوا أكثر براعة في دعوتهم وأساليبهم من الشيعة. فأقاموا تنظيمًا سرّيًا انتشر بسرعة في النّصف الشرقيّ من دولة الخلافة الأمويّة عن طريق خلاياه السرّية..

- وقد أدَّى هذا الخلاف إلى اصطدامات دامية، شغلت جانبًا كبيرًا من نشاطات الأمويّين وأنهكتهم، وكانت تعبيرًا عن استياء أكثر من فئة في المجتمع الإسلاميّ من حكمهم، وغدت بعد ذلك عنصرًا مُهماً من عناصر المعارضة، استُغِلَّ اسمُها ليكون الواجهة الدينيّة للشّعارات الّتي طرحها دعاة بني العباس..2

1 نادية محمود مصطفى الدولة الأموية دولة الفتوحات المرجع السابق ص 87
2 عبد الحليم عويس بني أمية بين السقوط و الانتحار المرجع السابق ص 53

# تاريخ الأدب القديم 2

# السّداسي الثاني

# المحور الثامن :سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

لم يكن سقوط الدّولة الأمويّة، وقيام الدولة العبّاسية مجرّد تغيير في الأسر الحاكمة، وإنّما يشكّل في حقيقة الأمر ثورة جذريّة حاسمة في تاريخ الإسلام على النّظام القديم، تحقّقت بفضل دعوة وتنظيم ثوريّين ناجحين واسعيْ الانتشار، يُعَبِّرَانِ عن سخط عناصر مُهمّة من الأمّة الإسلاميّة على الحكم الأمويّ، ورغبة مشتركة في إسقاط النظام الحاكم.

ولم يكن للدعوة في بادئ الأمر اسم تتميز به؛ إذْ كانت ترتكز على حزب آل البيت – أقوى الأحزاب المعارضة للأمويين– وهو حزب الهاشميّة ،الذي يضم علويّين وعباسيين –على السواء– وأنصارهم من الموالي العجم الذين آثروا الانضمام إلى حزبهم دون غيره من الأحزاب المعارضة الأخرى، وقد تعرض الشيعة العلويّون على مختلف فرقهم لتنكيل بني أمية، لادّعائهم أنّهم أصحاب الحقّ الشرعيّ في الخلافة، كما استشهد أعلام كثيرون من آل البيت ،الذين خرجوا يقاومون النُّظُم المستبدّة الجائرة.

الواقع أن سقوط دولة الخلافة الأموية لا يمكن أن يُعزَى إلى حادث منفرد؛ فلا بد أن تكون هناك جملة أسباب أدّت إلى هذه النهاية المحتومة كان من بينها:

1/- **الصراع بين أهل البيت** :من الأسباب التي أضعفت البيت الأموي وآذَنَتْ بذهاب ريحه تولية العهد لاثنين يلي أحدهما الآخر.. ويبدو أنّ ما دفع بعض الخلفاء أن يسلكوا هذا المسلك ،لم يكن إلاّ تفاديًا لنشوب الحروب الأهليّة بعد وفاة الخليفة .. 1وقد بذر هذا النّهج بذور الشّقاق والمنافسة بين أفراد ذلك البيت ، وأورثهم الحقد والبغضاء ، فما كان يتمّ الأمر لأول الأميرين .حتّى يعمل على إقصاء الثاني من ولاية العهد ، بل تعدّاهم إلى قادة الجيش والعمال.. فإنّه لم يكد يتم الأمر لثانيهما حتى ينكّل بمن ظاهر خصمه، وساعده على إقصائه من ولاية العهد..2

وأوّل من سنّ هذه السنّة مروان بن الحكم ، فقد ولي عهده ابناه عبد الملك ثمّ عبد العزيز، و سار

1 د. احمد سعيد العيطاني جذور الخطاب السياسي العربي ص 33

2 نادية محمود مصطفى الدولة الأموية دولة الفتوحات ( 41ه – 132هـ / 661- 750م ) , ط1 , المعهد العالمي للفكر الإسلامي , القاهرة , 1996م . ص 85

عبد الملك على سُنّة أبيه مروان.وهكذا تطوّرت المنافسة بين أفراد البيت المالك تطورًا غريبًا ، وأضحت خطرًا على الدولة الأموية ، فقد كان الخليفة ينتقم من قادة الجيش والعمال لمجرد اتهامهم بموالاة الخليفة السابق على خلعه..1

**2/- ظهور روح العصبيّة:**

كانت العصبيّة المقيتة والانحياز للقبيلة من أشد ما واجهته الدولة الأموية ؟ حيث قال الشاعر الأمويّ نصر بن سيار، وكان معاصرًا لأحداث الفتنة العصبيّة ،الّتي اندلعت في خراسان وأدّت إلى سقوط الدولة الأموية:

أرى خلال الرماد وميض نار *** فإن النار بالعودين تزكى

فقلت من التعجب ليت شعري *** وأخشى أن يكون لها ضرام

وإن الحرب مبدؤها كلام *** أأيقاظ أمية أم نيام 2

ظهرت روح العصبيّة بين القبائل العربية عقب وفاة يزيد بن معاوية .إلى أن كانت خلافة عمر بن عبد العزيز التي تعتبر فترة انتقال بين حال القوة والتّماسك ،وحال الضعف والتفكّك ،الذي اعترى ذلك الحزب ، فقد كان عمر بن عبد العزيز صالحًا عادلاً .قضى فترة خلافته في إصلاح ما أفسده من سبقوه من خلفاء بني أميّة ،حتىّ نال رضا جميع العناصر الثوريّة ، فسكنت في عهده الفتن التي كانت تنتاب الدولة ،وتكاد أن تذهب بريحها..3 ولمّا توفى عمر بن عبد العزيز خلفه يزيد بن عبد الملك،

فاستقبل بخلافته فتنة كان لها أسوأ الأثر في حزب بني أمية، وهي في الواقع نزاع بين عرب الشّمال وعرب الجنوب أو بين مضر واليمن، ولما كان الخليفة من عرب الشمال لم يتورع عن خوض غمار تلك الفتنة..

1 محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام و الدولة الأموية ( 600- 750م الأهلية للنشر و التوزيع , بيروت , 1987م ص 125.

2 http://www.islammemo.cc/Tkarer/Tkareer/2009/11/19/90569.htm تاريخ التحميل 2023/03/08

3 نبيلة حسن محمد في تاريخ الدولة العربية , دار المعرفة الجامعية , 1993م . ص 66

وأمّا بلاد العراق فإن الحالة لم تكن فيها أحسن مما كانت عليه في بلاد الشام ، فقد اشتعلت نار العصبية في هذه البلاد ،حتى ظهر الضحاك بن قيس الخارجيّ.الذي استولى عليها، كما استولى فريق من الخوارج على بلاد اليمن والحجاز بقيادة المختار بن أبي عبيدة..1

وهكذا أصبحت البلاد مرتعًا للفتن والاضطرابات، وشغل إخمادُ هذه الفتن مروانَ، فلم يلتفت إلى خراسان وما كان يجري فيها من بثّ الدعوة العباسية ،التي اشتدّ أمرها وعظم خطرها، ولم يلبث أن باغتته الرّايات السود من خراسان ، وطاردته وقضت على جيشه ؛ ففرّ إلى مصر ،حيث أدركه عبد الله بن علي العباسي، ثمّ أخوه صالح بن علي الذي قتله 132 هـ، ويعتبر القضاء على بني أمية قضاء على نفوذ العرب الذين كان الأمويون يعتمدون عليهم دون سواهم..2

**3/- التعصب للعنصر العربيّ :**

تُعدّ الدولة الأموية دولة عربيّة خالصة ،تعصّب حكّامها للعنصر العربيّ، ونظروا إلى الموالي نظرة احتقار وازدراء ،ممّا أدى إلى بثّ روح الفتنة بين المسلمين ،وإلى انتشار الشعوبيّة في الإسلام ،وكان منشأ ذلك اعتقاد العرب بأنّهم أفضل الأمم ،وأنّ لغتهم أرقى اللّغات ،وانحاز الأمويّون إلى العرب ، حتى أنّ بعض الخلفاء كانوا يصرّون على تحصيل الجزية من حديثي العهد بالإسلام منهم . مما أثار غضب الموالي .و لمّا ولّي عمر بن عبد العزيز أمر بوضع الجزية عمن أسلم سواء كان عربياً أو غير عربي، ولقد نجحت سياسته في حياته ثم تبدلت الحال بعد وفاته وعاد الأمويّون يفرّقون في المعاملة بين، العرب والموالي.وقد فطن العباسيون إلى ما ساد بين الموالي من روح التذمر ضد الحكم الأموي لذلك حاولوا اجتذابهم إليهم ،وكان الموالي هم العنصر الأساسي في الدعوة العباسية ،ويعتبر القضاء على بني أمية قضاء على نفوذ العرب الذين كان الأمويون يعتمدون عليهم دون سواهم

## قيام الدولة العباسيّة:

1محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام و الدولة الأموية المرجع السابق ص 85
2 نادية محمود مصطفى الدولة الأموية دولة الفتوحات المرجع السابق ص 96

العصر العباسيّ من العصور العربيّة العزيزة على كل عربيّ، يؤمن بوحدة الأمّة العربيّة العزيزة

على كلّ عربيّ، يُؤمن بوحدة الأمّة العربيّة، و يسعى من أجل تحقيقها وتجسيدها أمرا واقعا في

الحياة العربية. فهو العصر الوحيد الذي اتسعت خلاله رقعة الدولة العربيّة، فوصلت إلى حدود الصين في الشرق، وإلى حدود الدول القسطنطينيّة في الشّمال، وإلى قريب من منابع النيل في الجنوب، وإلى بواتييه في جنوب فرنسا في الغرب. يضاف إلى هذا الاتّساع في رقعة الأرض المساهمة في تعزيز مسيرة الحضارة الإنسانيّة وتمكينها .

**الخلافة العباسيّة وأساسها السياسيّ:**

قامت الدولة العباسيّة على أنقاض الخلافة الأموية، وقد كانت جهود الدّعاة العبّاسيين أحد العوامل الرّئيسة في إسقاطها، وإقامة صرح الدّولة العباسيّة على أيدي الموالي في خراسان خاصة.و هذا يعَدُّ انقلابًا في مسيرة التاريخ الإسلامي؛إذ إن الخلافة الراشدة قد قامت على أساس الشّورى، ولكن الدّولة العباسيّة قامت بالخروج المسلّح على الحاكم القائم دون شورى من المسلمين، كما كانت دماء المسلمين الأمويين ،هي وقود نار الثورة العباسيّة، وذلك أمر غير مسبوق في الإسلام.1

وقد حاول المؤرِّخون كشف مكنونات هذا التحول وتفسيره منطلقين من مفاهيم مختلفة، فقد رأى فيه بعضهم:

1 عبد الحليم عويس بني أمية بين السقوط و الانتحار ( دراسة حول سقوط بني أمية في المشرق ) , ط1 , دار الصحوة للنشر , - 1987م .ص 70

1- ثورة الفرس على الحكم العربيّ.

2- في حين علَّلَه بعضُهم بأنه مجرّد ثورة على حكم بني أمية لإزاحتهم عن الحكم وإحلال العبّاسيّين مكانهم.

3-ويرى فريق آخر بأنه اجتهاد فقهيّ خاطئ ،و أحقّ آل البيت هو عليّ كرّم الله وجهه.

وعندما قامت الدولة العباسية لم يَرُقْ للعلويين أن يظفر العبّاسيون بالخلافة دونهم، واعتبروا أنّ العبّاسيين خدعوهم؛ إذ لولا اتّحادهم معهم ضدّ الأمويّين، لما مهّد الطريق أمامهم إلى الخلافة.1

4-ويرى البعض بأنها حركة شيعية في ثوب سنيّ.2

**انطلاق الدعوة العباسية من الكوفة وقيامها:**

اتّخذت الدعوة العباسيّة من الكوفة مركزًا لها بصفة أنّ أنصار آل البيت فيها كثيرون, ومنها يمكن التوجّه نحو خراسان، والاتّصال فيها بسهولة ويسر، وقد وجد الدّعاة العبّاسيون – فعلاً – آذانًا مُصغية في خراسان، وتمكّنوا من النشاط حتى تمَّ لهم الأمر،3وهناك نقطة يمكن أن نلاحظها وهي أن سكان خُراسان ليسوا من الفُرس،وإنما هم من الأتراك،ومعروف أن حاضرتها كانت مدينة مرو، وهي ضمن بلاد التركمان التي تخضع اليوم للروس،، إلا أن ارتباط قيام الدعوة العباسية بخراسان, وارتباط تلك الدولة في أذهاننا بالفُرس قد جعلنا نتصور دائمًا سكان خراسان من الفرس، وهو الأمر المفهوم لدى أكثرية الناس.4

## انتقال الخلافة إلى العبّاسيّين وقيام الدولة:

1 نبيلة حسن محمد في تاريخ الدولة العربية المرجع السابق ص 63
2 عبد الحليم عويس بني أمية بين السقوط و الانتحار المرجع السابق ص 70
3 محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام و الدولة الأموية المرجع السابق ص 58
4 نبيلة حسن محمد في تاريخ الدولة العربية المرجع السابق ص 65

عندما ضعفت الدولة الأمويّة، تطلّع الناس إلى رجل يعود بالأمة إلى جادّة الطريق، يرفع عنهم الظّلم، ويقيم فيهم العدل، ويرهب بهم الأعداء، فحسبوا أنّ أصلح الناس لهذا الأمر ،رجل يكون من بني هاشم، فكتبوا في هذا الشأن إلى "أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن عليّ بنعليّ بن أبى طالب" أحد العلماء الثّقات، وكان مقيمًا بالشام قريبًا من مركز الخلافة الأموية.. وما لبث أمر تلك المكاتبة أن وصل الخليفة الأموي "سليمان بن عبد الملك"، فخشي أبو هاشم على نفسه –وكانت قد تقدمت به السِّنّ– ، فانتقل إلى "الحميمة" من أرض الشام؛ حيث يقيم عمه "عليّ السَّجَّاد بن عبد الله بن عباس"، وهناك حضرته منيته، فأوصى إلى "محمد بن على بن عبد الله بن عباس" بما كان من أمر الناس معه، ودفع إليه الكتب التي كتبوها إليه، وقال له: أنت صاحب هذا الأمر، وهو فى ولدك. ثم مات، وكان ذلك فى خلافة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ/ 718م.[1]

وأخذ محمد العباسيّ في تنفيذ ما أوصاه به أبو هاشم، فاتّصل بالنّاس، واختار من بينهم دعاة يخرجون وينتشرون في ربوع الدولة الأمويّة، يشهرون بها وينتقدون عيوبها، ويدعون إلى ضرورة أن يتولّى أمر الخلافة رجل من آل البيت قادر على أن يملأ الأرض عدلا، ووجدت تلك الدعوة صدى عند الناس ورواجًا.

ويموت محمد بن على بن عبد الله بن عباس سنة 124هـ/742م، بعدما أوصى ابنه إبراهيم الملقب بالإمام بمواصلة المسيرة.

وتأخذ الدعوة العباسية عند إبراهيم الإمام صورة أخرى ،غير التي كانت عليها قبل ذلك، فهي لم تكن مُنظّمة، أمّا الآن فقد صار لها نظام، وقادة معلومون، من أمثال أبي سلمة الخلال على الكوفة، وأبى مسلم الخراساني على خراسان.

وما تكاد سنة 129هـ/ 747م، تقبل حتى يصدر أمر الإمام العباسي"إبراهيم بن محمد" أن يكون "أبو مسلم الخراساني" رئيسًا للدعاة جميعًا في خراسان وما حولها، وكلَّفه أن

1 الطبري: محمد بن جرير تـ 310 هـ . تاريخ الأمم والملوك" , الجزء الأول , دار الفكر. ص54

يجهر بالدعوة للعبّاسيّين علنًا، وأن يعمل على جعل خراسان قاعدة للانطلاق بقواته ضد البيت الأموي.1

ولم يهتم بنو أمية بهذا الأمر بسبب انشغالهم بصراعات أنصارهم القدماء بالشام، وانشقاق زعماء الأمويين على أنفسهم، ولم يمدُّوا واليهم على خراسان بشيء، فأدرك أبو مسلم الخراساني أن الوالي الأموي لن يصبر طويلا، وأن "مرو" ستفتح يومًا ما قريبًا، فأخذ يجمع العرب من حوله، ثم انقضَّ بهم على "مرو" ففتحت له، وهرب واليها "نصر بن سيار" وكان ذلك سنة 130هـ/ 748م.

وواصل أبو مسلم فتوحاته، فدانت له "بلخ" و"سمرقند" و"طخارستان" و"الطبسين" وغيرها، وتمكن من بسط سيطرته ونفوذه على خراسان جميعًا، وراح يتطلّع إلى غيرها، وكان كُلّما فتح مكانًا ،أخذ البيعة من أهله على كتاب الله–عز وجل–وسنّة نبيّه ( "وللرضا من آل محمد"، أي يبايعون إمامًا مرضيًا عنه من آل البيت من غير أن يعِّيَنهُ لهم.

**مبايعة أبى العباس:**

وهناك في الكوفة –بعد قليل من وصول آل العباس إليها– تمت مبايعة أبى العباس خليفة للمسلمين، وتوجّه "أبو العبّاس" إلى مسجد الكوفة عقب مبايعته بالخلافة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 132هـ/ 750م، وألقى على الملأ خطبّة .كانت بمثابة الإعلان الرسمي عن قيام الدولة العباسيّة، ومما جاء في تلك الخطبة:

..... ..وإني لأرجو ألاّ يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصّلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلاّ بالله، فاستعدّوا أيّها النّاس،فأنا السَّفَّاح المبيح والثائر المنيح

1 نبيلة حسن محمد في تاريخ الدولة العربية المرجع السابق ص 70

(يقصد أنه كريم جواد) ".ومن هذه المقولة التصقت به صفة السفّاح، فقيل أبو العباس السفاح، مع أنه ما قصد ذلك المعنى الذي شاع على الألسنة1، يتسابقون إلى الاستئثار بالنفوذ عن طريق المال .

وحكمت الدولة العباسية زهاء خمسة قرون ساست فيها العالم .. وفي ذلك يقول الفخري صاحب الآداب السلطانية : " واعلم أن هذه الدولة من كُبريات الدّول ساست العالم سياسة ممزوجة بالدّين والملك، فكان أخيار الناس و صلحاؤها يطيعونها تديّنا ، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة .. لقد كانت دولة كثيرة المحاسن ، جمّة المكارم أسواق العالم فيها قائمة وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة ، والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة ، والحرمات مرعية ، والثغور محصنة .. ومازالت على ذلك حتى أواخرها ، فانتشر الجبر واضطرب الأمر ، وانتقلت الدولة ".2

## الخلافة العباسية في عهد هارون الرشيد:

تُعْتَبَر خلافة هارون الرشيد بداية عصر القوّة في الدولة العباسية، ويشمل ذلك العصر خلافة ابنه المأمون، ثم المعتصم بن الرشيد، فالواثق بن المعتصم؛ حيث تميز هذا العهد بقوة السلطة المركزية، وبالتنظيمات الإدارية، والإصلاحات.3

كما تميز أيضًا بالفتوحات العظيمة، وارتفاع شأن الخلافة الإسلاميّة، وصيرورتها القوة العظمى الوحيدة في العالم، وخضوع أقاليم الدولة لسيادتها – ما عدا الأندلس التي تمكّن عبد الرّحمن الدّاخل من الوصول إليها، وإقامة خلافة أمويّة هناك، ولم يستطع العبّاسيون المساس بجنابها –، وإن حفل هذا العصر – عصر القوّة – بعديد من الثّورات الّتي استطاعت الخلافة القضاء على أكثرها، واستمرّ بعضها طوال عهد الدّولة العبّاسية، كما جرى فيه صراع داخلي كبير على السلطة بين الأخوين: الأمين والمأمون وليي عهد الرشيد، وجرت بينهما الحرب التي

1 الطبري: محمد بن جرير تـ 310 هـ . تاريخ الأمم والملوك" , مرجع سابق ص 244
2 د. الياس المدني الرسالة الإعلامية العربية الموجهة إلى الخارج ص 19
3 عبد الحليم عويس بني أمية بين السقوط و الانتحار المرجع السابق ص 85

أسفرت عن مقتل الأمين الذي اعتمد على العرب، وانتصار المأمون الذي اعتمد على الفُرس، وتولّيه الخلافة.1

كان العصر العباسي (132هـ-656هـ)أزهى العصور الإسلامية على الإطلاق، فقد حفل بشتى التيارات الفكرية، والثقافية، والأدبية وتطورت العلوم والمعارف والآداب، بشكل لم يعرفها لعرب لا من قبل ولا من بعد، و هو عصر النهضة، والازدهار، والرقي للأدب العربي ولقد حظي باهتمام كبير من الدارسين، والنقاد، ومؤرخي الأدب، والعباسيون هم الذين انحدر وامن نسل آل عباس بن عبد المطلب، عم النبي صلى الله عليه وسلم2، وقد لعبت الظروف الثقافية، والسياسية، والفكرية دورا كبيرا في تنشيط الحركة الأدبية ،والتي جعلت من هذا العصر أرقى العصور في تاريخ الأمة الإسلامية، وبلغت فيه الآداب والمعارف والعلوم الذروة ووصلا لعقلا لعربي.

## الحياة الثقافية والفكرية في العصر العباسي:

**1- الحياة الثقافيّة:** ازدهرت الحياة الثقافيّة ازدهاراً كبيراً في العصر العبّاسي الأوّل، وتلاقت في الحواضر الإسلاميّة شتىّ الثقافات ،الّتي تُمثل حضارات الأمم العريقة.كان تأثير هذه الثقافات يظهر بوضوح في عقليّة هذا الشعب الجديد، الذي تجلت عليه آثار الثقافات المختلفة. انتشرت في هذا العصر أربع ثقافات كان لها الأثر الأكبر في عقول الناس، وهي: الثقافة الفارسية، الثقافة اليونانية، الثقافة الهندية، والثقافة العربية.

2-الحياة الفكريّة:أذكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب، إذ دفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والتعلّم. فلم يمضِ وقت طويل حتى أخذت العلوم اللغويّة والدينيّة توضع أصولها. حيث شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتّفسير. ونهض التّعليم في العصر العباسيّ

1 د. الياس المدني الرسالة الإعلاميةالعربية الموجهة إلى الخارج ص 12

2عزالدينإسماعيل،فيالشعرالعباسي-الرؤيةوالفن-،ط1،المكتبةالأكاديمية،القاهرة، مصر، 1994،ص18.

الأوّل نهضة واسعة، وكان الناشئة يبدأون عادةً بالتعلم في الكتاتيب، حيث يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم، بالإضافة إلى شيء من الحساب وبعض الأشعار والأمثال. وكان بعض معلّمي هذه الكتاتيب يُعلّمون الناشئة أيضاً السّنن,وكان اهتمام الخلفاء العباسيين بضرورة نقل إرث أجدادهم الثقافيّ والمحافظة على مكانتهم العلميّة.يُعدّ من إحدى أسباب اهتمامهم بتربية أبنائهم وبالشكل الذي ينسجم مع الدور المطلوب منهم ثقافيا بكونهم قادة دولة1.

الترجمة:

لعبت الترجمة دوراً بارزاً ومهّماً في اطلاع العرب على ثقافة وآداب الأمم الأخرى، واستطاعوا من خلالها نقل العلوم الدّخيلة إلى العربية. فالترجمة تعتبر من مقومات الحضارة، ومن خلالها تمكّن العرب من نقل المنطق والفلسفة والطب والفلك من الفرس واليونان والهنود. في القرن الثالث، توسّعت معارف العرب بشكل كبير، ولم يمضِ هذا القرن حتى كان لدى العرب كتب كاملة في علم البلاغة والنقد الأدبي، وهي منقولة عن اليونان، وقد أثرت فيهم بشكل كبير، واتخذوها مقاييس لهم.

1شلبي أحمد، التربية والتعليم، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1987، ص 132 .

# المحور التاسع :الشعر العباسيّ الموضوعات والمضامين

تغيّرت مظاهر الحياة الاجتماعيّة و الثقافية في العصر العباسيّ. حيث يُمكن إجمال عوامل نهضة الشعر في العصر العباسيّ في النقاط الآتية:

1 / النهضة الثقافيّة و الفكريّة, و تطور الحركة العلمية؛ فقد أسهمَ التطوّر الفكري و الثقافي في إمداد الشعراء بمعانٍ جديدة، و تفتيق أذهانهم على صور و تشبيهات مُستقاة من الحوارات العلميّة والثقافية, فشعراء كل عصر يتأثّرون ببيئتهم ،و يستقون منها معانيهم و أخيلتهم, فكما كانت الصّحراء مَثار خيال الشاعر الجاهليّ،فكانت معانيه في أغلبها معانٍ حسّية, كذلك أصبحت الحضارة و الثقافة والعلوم مثار خيال الشاعر العباسيّ، فشاعت في شعرهم المعاني العقليّة.

2 / التطوّر الحضاري الذي أسهمَ في نهضة فن الوصف؛ فقد شاعَ في هذا العصر وصف القصور و الموائد و المآكل و المشارب... كما أثَّر التطوّر الحضاري في لغة الشعر. فاستخدموا الألفاظ الرّقيقة. وابتعدوا عن الغريب و المهجور .

3/النهضة الاقتصادية و الحياة المُترفة التي عاشها الخُلفاء؛ فقد زادت عطاياهم للشّعراء

و ازدهر بذلك فنّ المديح. كما نما نتيجة لهذا التّرف شعر الغزل و المجون ،و نما كذلك شعر الزّهد كاتّجاه مُضاد للمجون و التهتّك.

4/الامتزاج مع الأمم الأخرى و امتداد علاقات التأثير و التأثّر؛وأسهم هذا في نمو اتّجاهات شعريّة جديدة ،تحاول التمرّد على البناء التقليدي, كما أدَّى إلى ظهور المفردات الفارسيّة في الشعر العباسي ،نتيجة للامتزاج القويّ فيما بين العنصرين العربيّ و الفارسي .

**5**/تطور الحركة النقدية في العصر العباسي؛ فصارَ الشّعراء محاسبون على النواحي الجمالية

و الهفوات الفنيّة من طرف النقّاد. فلم يعد النّقد فطريًا انطباعيًا، كما كان في العصر الجاهليّ. فقد صارَ النقد منهجيًا له أصوله و قواعده.1

**شعر الزّهد والتصوّف:**

أ- شعر الزّهد:

كان للتّفاوت الطبقيّ الّذي عرفه المجتمع العباسيّ أثره في قوة تيّار الزّهد .حيث وجدت طبقة تمتلك من أسباب التّرف ما أتاح لها أن تحيا حياة مسرفة في التملّك والتنعّم ، حيث القصور والرّياض والجواري ومجالس اللّهو ، تلك كانت طبقة الحكّام ومن يقربونهم من الشعراء والعلماء والمغنّين ،على حين كانت غالبية الشعب تحيا بعيدا عن هذا التّرف ، تراه بعينها لكنّها لا تقربه ، تعيش في الضّنك والضّيق ، ويفتقد الكثير منهم ضروريّات الحياة .

هؤلاء الفقراء المحرومون في مجتمع يعجّ بألوان المباهج وزينة الحياة ،إما أن يتّجهوا إلى كسب المال بالطّرق الملتوية ، وبوسائل غير مشروعة أو غير أخلاقية ، وكان من هؤلاء اللّصوص و العيارون وقُطّاع الطّرق والمُكّدون ، وهي طوائف عرفها المجتمع العباسيّ ، وإمّا أن يسلكوا طريق الزّهد واجدين فيه سلواهم،وراحتهم بما يقدمه لهم من تهوين لمتاع الدنيا ،وتعظيم لما ينتظرهم من نعيم الآخرة .

وكان للصّراع الذي شهده العصر ؛ الصّراع السياسيّ والعرقي والمذهبي ،أثره كذلك في قوة تيّار الزّهد ، فهذا الاضطراب يفقد الكثير من الناس إحساس الأمن ، ويصيبهم بأحاسيس القلق والخوف ؛ فالخلفاء يقتلون ، والوزراء يصادَرون ، والعبيد يملَّكون ، ويبلغ تعصّب كل طائفة لمذهبها حدَّ الاقتتال . في هذا الجوّ يفضِّل الكثيرون اعتزال المجتمع ، حيث يقضون وقتهم في العبادة ، أو في العلم ، أو في كليهما ، فلا غرو أن كثر الزهاد خاصة بين العلماء .2

1 د . الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . بيروت , دار العلم للملايين . ط (1980) ص : 46 .
2د .الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . المرجع السابق ص 35

وكان لازدهار الثقافة الإسلاميّة ،والترجمة عن الثقافات الأجنبيّة أثر قوي في انتشار تيّار الزّهد .

وكما كان للزّهد شعراؤه الذين صوّروا تجاربهم الزهديّة .كان للصوفيّة شعراؤهم الذين صوّروا تجاربهم الصوفيّة ، من أمثال (البحتري، ذي النون المصري ، وأبو يزيد البسطامي ، وسحنون الخواص ، والحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، ودلف بن جحدر المعروف بالشبلي ، وعمر بن الفارض .**1**

ومن شعرهم الصوفي قول ذي النون المصري مخاطبا الذات الإلهية :

أموتُ وما ماتت إليك صبابتي ولا قضيتُ من صدق حبّك أوطاري

تحمّل قلبي فيك ما لا أبثّـه وإن طال سُقْمي فيك أوطال إضراري

وقول أبي الحسين سحنون الخوّاص :

وكان فؤادي خاليا قبل حبّكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمزحُ

فلمّا دعا قلبي هواك أجابـهُ فلستُ أراه عن فِنائك يبــرحُ

رُميت ببيْن منكَ إن كنتُ كاذبا وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرحُ

وإنْ كلُّ شيء في البلاد بأسرها إذا غبتَ عن عيني بعينيَ يملحُ

ب- التصوّف:

لأبي تمّام: وهو حبيب ابن أوس الطائيّ ومن شعره:

فلا تأمن الدنيا وإن هي أقبلت ***عليك فهي لا زالت تخزن وتغدر

1 الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . المرجع السابق ص 38

## المجون والزندقة والشعوبيّة:

### أ- شعر المجون:

لقد بدأت هذه الآفة تزداد حدة وانتشارا مع بداية هذا العصر ، متمثّلة في رواج سوق الخمر والمجاهرة بشربها ، بل التمدّح به . فكثرت مجالسها بكلّ ما فيها من أسباب الأنس وعناصر اللذّة المباحة والمُحرّمة ، مجالس صاخبة بالغناء والقصف والعبث والخلاعة والتهتك ، فمع الخمر كان الساقيّ المتهتّك ، والمغنّية الخليعة . والنّديم السكران .

إنّها حياة جديدة على المجتمع العربيّ الإسلاميّ.الذي عُرف أبناؤه بالمروءة والعفة والحياء ،وما خرج عن ذلك في غير هذا العصر ظل استثناء .

فما الذي حدث في هذا العصر ليسبّب هذا التحوّل الخطير في المجتمع. فيزلزل ما رسخ من أعراف وقيم ومُثل ، فإذا بنا في مجتمع المثل الأعلى لفئة منه المجانة ،والتهتّك واللّهو في مجالس الخمر والغناء ، يحيونه ويدعون إليه في شعرهم ، فهاهو أبو نواس كبيرهم في المجانة يؤسّس لهذا فيقول :

إنّما العيش سماع ومُدام و نِــدام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا سـلام

وعلى الوتر نفسه يعزف شاعر آخر لا يقلّ عنه مجانة ، هو أبو الهنديّ، الذي ضرب فيها بسهم وافر ، ولنسمعه يرسم منهجه في الحياة ، ويصوّر تطبيقه له فيقول :

إنما العيشُ فــتاةٌ غادةٌ وقعودي عاكفا في بيت حانِ

أشربُ الخمرَ و أعصي من نهى عن طلابِ الراح والبيضِ الحسانِ

في حياتي لذةٌ ألهو بــها فإذا متُّ فقد أودَى زمــاني

هذا إذن هو العيش كما يراه الماجنون ، خمر يعكفون على احتسائها ، وعبث مع الجواري ، وطرب بالغناء ، مع ندماء يشاركونهم السكر و المُتعة ، وهي حياة لا يرضون عنها بديلا ، ولا يسمعون فيها عاذلا ، ولا يطيعون ناهيا"1

هذا إذن هو العيش كما يراه الماجنون ، خمر يعكفون على احتسائها ، وعبث مع الجواري ، وطرب بالغناء ، مع ندماء يشاركونهم السكر و المُتعة ، وهي حياة لا يرضون عنها بديلا ، ولا يسمعون فيها عاذلا ، ولا يطيعون ناهيا2 .

لا شكّ أنّنا وجدنا شاعرا آخر منهم لا يكتفي بتصوير مجانته ، بل يصيح بغيره ليبادر إلي سلوك سبيله راسما له الطريق ، طريق المجون والخلاعة والفجور ، يدعو إلي تلك الموبقات في جرأة وصراحة لا يردعه خوف ولا يمنعه حياء . ذلك هو مطيع بن إياس ، وهذه دعوته ونصيحته:

اخلع عذارَك في الهوى واشـرب معتّقة الدنانِ

وصلِ القبيح مجاهرا فالعيشُ في وصل القيانِ

لا يلهينّك غيرُ ما تهوَى فإنّ العمرَ فـانِ

لا عجب إذن أن وجدنا شعرا زهديّا يفيض خوفا ،وندما لدى الشعراء الذين عرفوا بالمجون مثل أبي نواس وغيره . فلا عجب أن وجدنا لأبي نواس شاعر الخمر الأكبر وفارس المجون المجليّ هذه المناجاة، الّتي تفيض ضراعة وخوفا من الله وأملا في عفوه :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمنْ يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ

1 البستاني بطرس : أدباء العرب . منتقيات . بيروت . دار مارون عبود . ص : 270 .
2 البستاني بطرس : أدباء العرب . منتقيات . بيروت . دار مارون عبود . ص : 270 .

أدعوك ربي كما أمرت تضرّعا فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ

مالي إليك وسيلةٌ إلاّ الرّجا وجميلُ عفوك ثم إنِّي مسلـمُ

– مسلم ابن الوليد الأنصاري: المعروف بصريع الغواني، شاعر الغزل، هو أوّل من أكثر من البديع

وهو من أهل الكوفة، ومن شعره:

إذا شكوت إليها الحب خفرها *** شكواي فحمر خداها من الخجل

ب– شعر الزندقة:

– بشار ابن برد (95–167 هـ / 714 –784 هـ) : هو امام زنادقة الادب ورائد الخليعة ودغدغة المشاعر، عميد مدرسة الحداثة وكعبة الزنادقة الجدد ومن شعره:

وقد لامني في خليلتي عمر *** و اللوم في غير كنهه ضجر

قال أفق قلت: لا قال بلى *** وقد شاع في الناس منكما

جـ– شعر الشعوبية:

– أبو نواس (145هـ–198هـ)(762م–813م) : يعد من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية فهو شاعر الملاحظة الدقيقة و الإحساس العنيف، زعيم الشعر الخمري ومن شعره:

اثني على الخمر بآلائها *** وسمها أحسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا *** ولا تسلطها على مائها

**تجديد القصيدة العربية في العصر العباسي :**

أسبابه ومظاهره في الموضوعات وفي فنية الأداء ، ومع عمود الشعر :

مفهومه وموقف الشعراء العباسيين منه بين الالتزام به والخروج عليه ، ومع مفهوم الشعر وغايته عند الشعراء المحافظين والشعراء المجددين . والمقدمة الطلية وموقف الشعراء منه. 1

عوامل كثيرة تآزرت لتكون وراء ما شهدته الحركة الشعرية في العصر العباسي من إزدهار كبيرا وتطور ملموس ، من ذلك :

ما عرف العصر من احتفاء ذوي النفوذ في الدولة بدءا من الخلفاء ومرورا بالوزراء والولاة بالأدباء شعراء وكتابا ، وما كان من تنافس بين حكام الولايات حين زاد نفوذهم على تقريب كبار الشعراء والأدباء كل في حاضرة إمارته أيا كانت أسباب ذلك التنافس .2

ما شهد العصر من نشاط ثقافي اتسعت روافده بين عربي موروث وإسلامي ناضج ، ووافد متنوع وثري ، وتنوعت ميادينه بين العلم واللغة والأدب والفلسفة والتاريخ فكون زادا ثقافيا ترك أثره الكبير في كثير من شعراء العصر وكتابه .

فإذا أضفت إلى هذا الازدهار الثقافي التطور الاجتماعي الذي شهده العصر متأثرا بحضارات الشعوب الأخرى التي انفتح عليها ، وغدت بثقافتها وحضارتها وكثير من عاداتها جزءا من نسيجه ، ساعد علي ذلك قسط كبير من الحرية ، وتوفر كثير من وسائل الترف ، إذا أضفتا ذلك إلى ما سبق أدركنا أننا مع عصر مختلف إلى حد كبير ، وأنه بهذه المقومات التي اجتمعت كان له هذا التأثير الكبير في الحركة الأدبية عامة وفي الحركة الشعري ة بصفة خاصة ازدهارا وتطورا . ما جعل الدارسين يطلقون عليه

( العصر الذهبي )

مظاهر تطور الشعر في الأفكار و المعاني:

1 د – عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول . المرجع السابق ص 40
2 الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . المرجع السابق ص 58

اتسعت الثقافة في العصر العباسي، فظهر أثر ذلك على الحياة الفكرية، فتميزت الصورة الشعرية بالجدة والطرافة، و أبيات بشار بن برد مثال على التجديد والإبداع:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفٌ ألم

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم

في البيت الأخير، تشبيه نادر، ولغة الأبيات سهلة وأسلوبها مألوف.

و قد حلَّق خيال الشاعر العباسي في فضاء ما صنعته يد الحضارة، بسبب ألوان الترف والنعيم الذي أسس لحياة جديدة، إلى جانب الطبيعة الخلابة.

في الألفاظ و الأساليب:

قطع العلم والأدب شوطًا كبيرًا من التقدم والازدهار وقد كانتْ صلة الكثير من الشعراء العباسيين قوية بالشعر القديم، أمثال بشار الذي كان يحاول مجاراة امرئ القيس، وأبو نواس، وأبي تمام الذي عرف بروايته قديم الشعر. إن الكثير من شعراء العصر العباسي كان يجاري شعرهم الأقدمين تارة، والمحدثين تارة أخرى. و هناك فئة أخرى من الشعراء يسمون أصحاب المدرسة الشعبية كأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف... فقد انتشر شعرهم بين محبي الأدب، و وجد الناس فيهِ عامة الناس مهرباً من صعوبة معاني غيرهم**1** .

و لقد تسربت الكثير من الألفاظ والأفكار إلى الساحة الأدبية من ( الأقوام الذين امتزجوا بالعرب، وتصاهروا مع الكثيرين منهم )، ومن يراجع الكتب يجد ألفاظا كثيرة أصبحت مألوفة في الشعر والنثر مثل : الفالوذج، والديباج .. و هي ألفاظ فارسية. و تجاوز بعض الشعراء المعجم الشعري الأصيل، واستخدموا تراكيب وألفا أعجمية، فضلاً عن المصطلحات العلمية والفقهية والفلسفية. و استخدموا السليقة مما هيأ لظهور اللحن والخروج عن القياس الصرفي، فكان علماء اللغة لهم بالمرصاد، كلما انحرفوا دلوهم على انحرافهم.

في الأوزان والقوافي:للشعر خصائص موسيقية تأتيه من الوزن والقافية، وقد ألمّ الشعراء

1 الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . المرجع السابق ص 41

العباسيون بالأوزان التي أخرجها الخليل بن أحمد ونظموا على تفعيلاتها، وكان الميل إلى الأوزان القصيرة و

المجزوءة، التي تستدعي الرشاقة، والعذوبة، وتلائم حياة القصور والحانات والخمائل .أما بحر المجتث والمقتضب فهما محببان إلى النفسِ وأكثر استجابة للغناء وطواعية للموسيقى، لذلك نظم فيه الشعراء في العصر العباسي:

ومن المقتضب قول أبي نواس:

حامل الهوى تعب يستخفّه الطرب إن بكى يحقُ له ليسَ ما به لعبُ

تضحكين لاهية والمحب ينتحبُ كلما انقضى سببٌ منكِ عاد لي سببُ

و تصرف بعض الشعراء بالأوزان، كما استحدثوا أوزاناً أخرى تنسجم مع روح العصر، و أبو العتاهية من أشهر الذين ابتكروا في الأوزان، التي تليق بما يقول من الشعر، قال ابن قتيبة فيه : وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزونا يخرج به عن أعاريض الشعر و أوزان .

## خصائص الشعر العباسي وتطوّره:

تأثّر المسلمون علماؤهم وشعراؤهم بالفلسفة اليونانيّة ، بعد أن ترجمت كتبهم إلى اللغة العربيّة في

عهد الرشيد والمأمون .فاشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية ، وعملوا على تفسيرها ، والتعليق عليها ، وإصلاح أغلاطها ثم عمدوا إلى الكتابة في تلك المواضيع بل حتى أن بعض الشعراء جدوا في أغراض الشعر عامة وابتكروا موضوعات جديدة في الشعر القديم تجددا واسعا في معانيها ، فأخذت جانب الدقة والعمق ، ثم اخذ الشاعر العباسي في تنمية هذا الشعر ، حتى اخرج منه فروعا جديدة ، فاخذ الشعراء الشيم العربية الرفيعة وحللوها في قصائد ، فمنهم منوصف الحلم ، وآخر صور الحياة ، ثم العفة ونجد قطعة

في تصوير الصبر وعدم الانقياد إلى اليأس مما جاء بالغاني ، منسوبا إلى محمد بن يسير قوله:

لا تيأسن وان طالت مطالبه ** إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ** فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

اخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ** و مدمن القرع للأب و ابأن يلجا

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها ** فمن علا زلقا عن غرة زلجا

و ممن غلبت عليه الفلسفة من علماء المسلمين ، الشيخ الرئيس ابن سيناء المتوفى سنة 428 هـ.

وله من المؤلفات نحو مائة كتاب ، منها (26) في الفلسفة فقط . ومنهم كذلك الغزالي الملقب بحجة الإسلام المتوفى سنة 505 هـ وهو أمام التصوف ، على ان بعض الخلفاء والعامة حاربوا المشتغلين بالدراسات الفلسفية ، و اضطهدوا الفلاسفة ، واتهموهم بالزندقة ومن أشهر فلاسفة العصر العباسي ، هذه الطائفة التي عرفت باسم ( إخوان الصفا)1 التي كانت ذات نزعة شيعية متطرفة ، حتى قيل أنها إسماعيلية ،

وكانت تتألف من جماعة سرية من طبقات متفاوتة ، نشأ في بغداد في منتصف القرن الرابع للهجرة ، وقد اخذوا كثيرا من مبادئ الفلسفة الطبيعية ، ولجئوا إلى تأويل القرآن تأويلا مجانيا ، وتعتبر رسائل إخوان الصفا أشبه بدائرة معارف ، أخذت من كل مذهب فلسفي بطرف ، وتدل في الوقت نفسه على أن مؤلفيها نالوا حظا موفورا في ارقي العقلي وتتألف هذه الرسائل من إحدى وخمسين رسالة ، تقوم على دعائم من العلم الطبيعي ، ولها من وراء ذلك أغراض

1 إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري ولعاشر الميلادي بالبصرة اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها"تحف إخوان الصفا".وهنالك كتاب آخر ألفه الحكيم المجريطي القرطبي المتوفى سنة 395هـ وضعه على نمط تحفة إخوان الصفا وسماه "رسائل إخوان الصفا".

سياسية ن من هذا نرى أن ( إخوان الصفا) حاولوا في رسائلهم تلك التوفيق بين الدين والعلم ولكنهم لم يستطيعوا إرضاء أهل الدين ، ولا أهل العلم .

الشعر السياسي:

ارتبط الشعر العربي برؤية الشاعر السياسية منذ العصر الجاهلي، فالقبيلة العربية هي الصورة المصغرة للدولة، والشاعر لسان حال هذه القبيلة. ومن ثم كان شعره يتّصل بمواقف هذه القبيلة احتجاجًا عليها أو تأييدًا لها. ويفسّر ذلك احتفال العرب بالشاعر أكثر من احتفالها بالكاتب. فالشاعر هو الذي يرفع مكانتها بين القبائل الأخرى .وفي عهد النبوة، كان حسان بن ثابت شاعر الرسول [3] ورهطه من الشعراء المسلمين يقفون موقفًا سياسيًا، حين ينافحون عن الدعوة، ويذودون عنها،ويردون كيد شعراء المشركين في نحورهم.

ولكن الشعر السياسي أُتخذ غرضًا شعريا قائما بذاته مع بداية الدولة الأموية، حين انقسم المسلمون عقب معركة صفين إلى طوائف وأحزاب أهمها الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون .ومن هذا التاريخ، أصبح لهذه الأحزاب السياسية شعراء يتحدثون عن مبادئها وتوجهاتها، فتحوَّل الشِّعر إلى إطار سياسي تحكمه أهداف ومناهج، ويقو معلى نظرية محددة المبادئ في الحكم وتأييد الحزب الذي يرفع الشاعر رايته ويدعو له. هذا الشعر لم يكن دعوة سياسية قائمة على البرهان والحوار العقل يفقط، ولكنه يمرر بمشاعر صادقة ولا يخلو من النسيب والهجاء والمدح. وأهم هذه الفرق **1**:

الخوارج. وهي الفرقة التي خرجت على علي بنأبي طالب (رضي الله عنه) حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية. وتقسمت إلى طوائف، منها الشرارة والحَرُوريَّة والمُحَكِّمة وكان أكثرهم من الأسد اليمانية وتيم المُضرية. وتقوم دعوتهم على أن الخلافة لمن يصلح لها منال مسلمين وليست لجنس أو طبقة. وقد شارك الخوارج بشعرهم في طرح نظريتهما لسياسية. ويمتاز شعرهم بأنه أصدق صورة أدبية لمذهب ديني سياسي. وقد احتفظوا بسَمْتِهِم البدوي فجاء شعرهم صريحًا

1 عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول . القاهرة . دار المعارف . ط ( 1974) ص 58

جريئًا قويًا جمع صدق الشعور وقوة العقيدة وسلامة الخُلق والطبع. كما يمثل صورة للشعر الذي نشأ في ظلال إسلام، وتأدب بآدابه فأخذ من بلاغة القرآن ومن السُّنَّة المطهَّرة .ويلفتا لنظر أن شعراء الخوارج هم زعماء المذهب وحملة السيوف، ولذلك لم يظهر منهم فحول إذ كانوا في عجلة من أمرهم للفراغ من الشعر للدخول في المعركة، فمعظم شعرهم مقطوعات لا قصائد، في إيقاع قوي، وموضوعه الجهاد والشهادة والتحذير من القُعود والاستبشار بأولئك الذين نالوا الشهادة. وشعرهم أكثر أشعار الفرق بعدًا عن المدح أو الفخر أو الغزل وأكثر دورانًا حول الحماسة

ومواقف الجهاد الثائرة. وقد أفنى شعراء الخوارج عصبيّاتهم القبلية والعرقية فبعقيدتهم المذهبية1

1 عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول المرجع السابق ص 96

# المحور العاشر :القيم الأدبيّة و الفنيّة المُستحدثة في الشعر العبّاسي

العصر العبّاسي يُعدّ مرحلة مهمّة في التطوّر الأدبي العربيّ، فخلالها عرف ذروة عطائه في الفلسفة والعلم والأدب, فكان للخلاف القائم في المواقف السياسيّة ،والاجتماعية والتطوّر الفكري والحضاري السائد آنذاك في المجتمع دافعا مُهمّا لجود صراع بين التّقليد والتجديد .حيث تجلىّ ذلك خاصة في الأدب من خلال الشعر، والنّثر شكلا ومضمونا، وقد ظلّ الشعر العباسي حافظ على الأغراض الشعريّة القديمة، لكنه، بسبب التغيير والتطوّر الذي طرأ في مختلف مجالات الحياة، لم يكن بمنأى عن ذلك التغيير، فتطوّرت أغراض قديمة واستُحدِثت أغراض أخرى...

**الصّراع بين التّقليد والتجديد الأدبيّ والفنيّ:**

**1.تعريف التّقليد ودُعاته:**

**لغةالتقليد في الشعر**

**لغة:**

قلّد: قلّده الأمر، أي ألزمه إياه، وهو مثل بذلك. وقلّد الأمر: احتمله، وكذلك تقلّد السيف. ومِقْلَدُ الرجل: موضع نجاد السيف على منكبيه. والمُقَلَّدُ من الخيل: السابق الذي يُقلَّد شيئًا ليُعرف أنه قد سبق. والمُقَلَّدُ: موضع، ومُقَلَّدات الشعر: البواقي على الدهر.

اصطلاحًا:

التّقليد في معانيه الأدبيّة العامة يشتمل على محاكاة كل ما تواضع عليه الأدباء قديمًا من صور بلاغيّة، وتركيبات أسلوبية توارثها عنهم الأدباء المعاصرون. معناه أن الأديب أو الشاعر يتخذ من أعمال مؤلف سابق نموذجًا يُحتذى به، أي أن الشاعر يحاكي الشعراء

الأوائل في طريقة نظم الشعر، سواء على مستوى الشكل أو المضمون. إذن، التقليد في الشعر هو تبني الشعراء المتأخرين لطريقة الشعراء المتقدّمين في قول الشعر. ومن معاني التّقليد كذلك أنه عبارة عن "اتّباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدًا للأحقية فيه من غير نظر وتأمّل في الدّليل، كأنّ هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه".

هذا معناه أنّ الشاعر يتّخذ من شعر سابقيه منطلقًا وقاعدة لا يمكنه أن يحيد عنها، ويجعل من شعر الأوائل مصدره الأول لأيّ عمل شعري ينشده ويبتغيه. ومن معاني التقليد أيضًا أنه "مجموعة من العادات، والمعتقدات، والمهارات، أو الأمثال، ينقلها جيل إلى الجيل الذي يليه"، ويمكن اعتبار التقليد مجموعة من الموضوعات الأدبية الموروثة من الماضي.

من هنا يمكن القول إنّ التقليد في الشعر هو خضوع الشعراء للسنن والأعراف التي تحكم القصيدة العربية الكلاسيكيّة، وبعبارة أخرى، التّقليد في الشعر هو قول الشعر وفق ذهنية مقيمة على القديم وأصوله، وعليه، فالشعر القديم هو القدوة والمثل الأعلى الذي يجب على كل شاعر أن يحتذي به.

دعاتُه:

شهد العصر العبّاسي معركة أدبية نقدية عنيفة بين دعاة التقليد في الشعر وبين دعاة التجديد، وظهر انقسام بين الشعراء إلى محافظين يتمسّكون بالقديم ويقدّسونه، وإلى مُجدّدين يسعون إلى التخلّص والتحرّر من ربقة الزمن وسلطانه. وقد أدّى انقسام الشّعراء على هذا النحو إلى الخصومة فيما بينهم، فكلّ فريق يعتزّ باتّجاهه، وينعى على اتجاه الفريق الآخر.

هذا الخلاف بين أنصار القديم والحديث من الشعراء أدّى بدوره إلى اختلاف النقّاد أيضًا، فمنهم من تعصّب للقديم ولا يفضّل عليه أيّ شعر، ومنهم من انتصر للحديث أيًّا كان وأزرى بالقديم.

لقد شنّ دعاة التقليد حملة عنيفة على الشعراء المُجدّدين، واشتدّ نقدهم للشعراء المحدثين الذين احتلّوا مساحة واسعة في العصر العبّاسي. وقد بلغ بهم الأمر إلى حدّ إقصاء كل من خالف ما نطقت به العرب أو ثار على الموروث الشعري القديم، سواء على مستوى البناء الهيكلي أو على مستوى المضمون. "وقد كان من أخطر الاتّهامات التي وُجّهت إلى بعض الشعراء المحدثين أنهم يحاولون تقليد القدماء، ومن ثم يميلون إلى الإغراب والتعقيد، محاولين بذلك التفوّق على من سبقهم، ولكن هذا يؤدي بهم إلى الوقوع في براثن الصنعة".

لذلك نجد دعاة التّقليد يؤكّدون أن "الشعر القديم يتّسم بالطّبع، بخلاف الشعر المحدث الذي يتميّز بالتكلّف"، ومن هنا بدأ الإحساس بقداسة القديم واعتباره النموذج الأوحد الذي ينبغي أن يُتّبع، وكأنه لا بديل عنه لضمان الأصالة واكتمال الدقة في بنية العمل الشعري.

على هذا الأساس، أصبحت الصورة النمطية للقصيدة العربية معينًا يستمد منه الشعراء عبر عصور الأدب المختلفة. فمذهب المحافظين كان ينظر إلى الموروث الشعري العربي القديم بعين الجلالة والتقديس، معتبرين إياه المثل الأعلى والقدوة لأي إبداع شعري يبتغيه الأديب، وعلى هذا النحو ترسّبت في أذهان النقاد والجمهور من حولهم قداسة خاصة للقديم بلا مناقشة.

هذا ما جعل التيار المحافظ في الشعر يقصر عناصر الجودة على النصوص التي تتمثّل فيها مقومات وخصائص الشعر القديم، ولو تأمّلنا بعناية مناقشات النقاد المحافظين لأخطاء هؤلاء الشعراء المحدثين في المضمون والصورة، لرأينا أنهم يرجعون هذه الأخطاء إلى سببين أساسيين: الخروج على الذوق العربي، والخروج على عمود الشعر، الذي حدد ضوابطه المرزوقي في كتاب "عمود الشعر".

ومن الأسباب التي أدّت إلى التعصّب للقديم أيضًا رغبة العلماء التراثيين في تأكيد الثقافة العربية في وجه المؤثرات الأجنبية، التي تجاوز تأثيرها حدود الجوانب الثقافية إلى الجوانب السياسية والاجتماعية. فقد كان القرن الرابع الهجري صراعًا هائلًا بين روّاد الثقافة العربية

وبين طلاب الثقافة الغربية، لأنّ الإمبراطورية العباسية ضمّت مختلف الأعراق والأجناس، فاحتك اللسان العربي مع الأعاجم.

التجديد ودعاته:

**لغة:**

قال الجوهري: "جَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً، صَارَ جَدِيدًا، وهو نقيض الخَلَقِ". وقال أيضًا: "وتَجَدَّدَ الشيءُ صَارَ جَدِيدًا، وأَجَدَّهُ واستجدَّهُ، وجَدَّدَهُ: أي صيّره جديدًا". فالتجديد هو ابتكار جديد غير مألوف أو الوصول إلى شيء لم يُسبق الاهتداء إليه.

**اصطلاحًا:**

التجديد هو "أفكار اصطلاحية وعمليات توجيهية وحركات تغييرية". ومعناه أن التّجديد هو تغيير في شيء قديم، ومن معانيه كذلك: "وصل ما انقطع من المألوف وإعادته إلى حالة الفاعلية بعد أن بلى بمرور الزمن".

وقد أخذت حركة التجديد تسري في مطلع القرن الثاني الهجري، وتصطدم بعنف مع عمود الشعر القديم ومنهجه وقوالبه. وممّا أعان على ذلك ظهور طبقة جديدة في المجتمع من ناحية جنسها، إذ كانت مزيجًا بين العرب والأجناس الأخرى التي أخضعها المسلمون في فتوحاتهم، فاختلفت طريقة تفكيرهم عن العرب.

وأوّل مظهر من مظاهر التجديد هو الابتعاد، إلى حدٍّ ما، عن القصائد المطوّلة التي كانت أساسًا في الشعر الجاهلي، واختيار المقطوعات الصغيرة التي لا تتجاوز بضعة أبيات. ومن الأسباب الأخرى لانكماش القصائد المطوّلات في القرن الثاني الهجري أنّ الشاعر أصبح يحدّ قصيدته بفكرة معيّنة لم تستغرق منه غير أبيات معدودة، على عكس المعلقات.

إضافة إلى ذلك، كان تأثير الغناء والموسيقى واضحًا، إذ كان أكثر الشعر يُغنّى، ويقتصر على المقطوعات القصيرة المقدّمة في إطار موسيقي جذاب.

### 3.قضايا الصّراع بين القديم والجديد:

من أهم القضايا التي ظهرت على ساحة النقد العربي القديم هو والصراع بين القديم والحديث هو قضية أزلية كما أنها قضية متجددة وحيوية وهو صراع بين الثابت والمتغير المألوف وغير المألوف، وتقوم المجابلة الشعرية والأدبية على فكرة أساسية مهمة قوامها الصراع بين القديم والحديث و أسالت الكثير من الحبر، وهذا ابن قتيبة في مقدّمة كتابه " الشعر والشعراء " يقول:" لم أسلك فيم ذكرت من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه "1.

جاءت فكرة الجاحظ في الحكم بين القديم والحديث مُحدّدة ومضبوطة لا ترى فيها شيئا من الاضطراب، حتى إنّه يعيب على الذين يحكمون على الشعر بناء على حدود زمنيّة أو عصبية حيث قال:"وقد رأيت جماعة منهم يبهرجون أشعار المولّدين ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قطّ إلاّ في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان"2، وفي هذه النظرة الكثير من الموضوعية حيث يستبعد الجاحظ الأحكام التي لا تعتمد الجمال الفني وحده كوسيلة موضوعية للحكم واعتماد معطيات أخرى كالزمن مثلا، وقد كان لهذا التجديد في الشعر العربي صداه ليس فقط على المستوى العربي فحسب بل على المستوى العالمي ككلّ ، فشعراء النّصارى الأسبان في عهد

1ابن قتيبة،الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط1،ج1، دار المعارف،القاهرة،1987، ص62.

2أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ،الحيوان، ط3، ج03، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي،بيروت،1993، ص444.

الأندلسيين، نظموا أشعارهم على نظام المقطوعات، كما نظموا الملاحم على منوال الأراجيز التاريخية، وتأثّروا في أغراض أخرى بالموشحات العربية والعجمية والعامية"1.

**التّجديدفي الشعر العباسي (الغزل، المجون، الهجاء والمدح):**

جاءت حاجة الشعر للتجديد"استجابة لظروف العقل وحاجاته فراح الشعراء يبتكرون طرائق وأساليب جديدة سواء ما تعلق منها باللغة وألفاظها وتراكيبها ، أو ما تعلق منها بأساليب التعبير"2.

**1.الغزل**

هو الغرض الشعري الأكثر انتشارًا في تاريخ الأدب العربي، وهو الباب الذي طرقه كلُّ الشعراء العرب تقريبًا، وقد انقسم الغزل العربيّ عر العصور إلى غزل عذري وهو الغزل الذي يخلو من الفحش ووصف مفاتن المرأة، وقد اشتهر في هذا الغزل كلٌّ من: جميل بثينة، كثير عزة، مجنون ليلى، وغزل ماجن وهو الغزل الذي يعتمد على إظهار مفاتن المرأة والتدقيق في تفاصيل هذه المفاتن، ومن أبرز رواد هذا النوع امرؤ القيس3.

ظهر الغزل في مطلع العصر العباسي

ظهر الغزل في مطلع العصر العباسي، وعرفه الشعراء المحدثون لقرب العهد منهم؛ إذ كانت لديهم معرفة جيدة، فأصبح جزءًا من رصيد ثقافتهم الشعرية بالضرورة. ويذكر هدرة أن من الأغراض التقليدية التي تختلف في صياغتها وأسلوبها في شعر الزهد والتصوف والأخلاق، وبعض أشكال شعر المذاهب، هو شعر الغزل والهجاء.

وقد تقدم رجل إلى بشار، رأس المحدثين، فقال له:

---

1محمد عباسة، الموشحاتوالأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور،ط1، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم– الجزائر،2012، ص 95.

2علي المومني، مرجع سابق، ص ص150–151.

3ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان،2001، ص 213.

«قلتُ: أحسن بيتًا ثم أفسدتهُ بالبيت الذي يليه»،

فأنشد له البيتَيْن:

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قَصَّارُ

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كَسَرَهُ تَنْزَحَ ذَارُ البَيْنِ لَوْ نَفَعَ الحَذارُ

يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ إِذَا رَآهُمْ خَوْفَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السِّرَارُ

فرد بشار بأنه أراد أن يلحق قولَ "المجنون":

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةَ قِيلَ يُغْدَى بِلِيلى العَامِرِيَّةِ أَو يُرَاحُ

قَطَّاةٌ عِزُّهَا شَرَكٌ فَباتَتْ تَتُعالَجُ وَقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

وهذا يدلُّ على أن المحدثين من الشعراء كانوا يلتفتون أحيانًا إلى الوراء، فقد امتلأت نفوسهم ببعض معاني الشعراء القدماء فيحاولون مجاراتها؛ ومن خلال هذه المجاراة تمتد آثار التيار القديم إلى الزمن الحديث، بحيث تتحول المعاني الجزئية في بعض الأحيان إلى اتجاهٍ عاملٍ لدى بعض الشعراء.

في موضوع الغزل عند المحدثين

وينقلب مرة أخرى كلامُ الأبيّ العنقاء البصري عن غزل أبي العتاهية، حيث يقول فيه: «وغزله لينجدًا، مُشاكلٌ لكلام النساء، موافقٌ طباعهن، وكذلك كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي والعباس بن الأحنفي».

وهنا اختلفَت الآراء بين غزل العباس بن الأحنفي وعمر بن أبي ربيعة؛ فقد يقول بن أبي ربيعة:

أَلا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ، إِذَا غَمَزُوهَا بالأَكُفِّ تَلِي

ويصف العباس محبوبته وهي تمشي الهوينة، ويضيف في صِفاتها:

كَأَنَّها حينَ تَمشي في وَصائفِها تَخْطُو عَلَى البَيضِ أَو خُضرِ القَوارِيرِ

ونجد أن أثر البيئة الجديدة يطلّ على النساء من حينٍ لآخر؛ فقد وُصفت المحبوبة برقتها وخفة وطئها على الأرض كأنها النسيم، وعلى رشاقتها ولطف حركتها، فقبِل هذا وذاك، كأنها حضرية منعمة.

الغزل بالمذكر وأبعاده الاجتماعية

ظهر ما يُعرف بالغزل بالمذكر، وكان انعكاسُه مرتبطًا بالظواهر الاجتماعية وما طرأ عليها من تغيرات؛ فمن المألوف أن نجد في عهد الخليفة أو في غيره شاعرًا من الشعراء يمتدح فيه جاريةً أو غلامًا. وتتنوّع الآراء في تفسير هذه الظاهرة؛ فبعضهم يرى أنه تجلٍ حضاري مألوف في الحضارات الإنسانية الكبرى، حيث ينشأ الميل إلى حب الجَنس ذاته، وبعضهم يجعلها أثرًا من آثار بروز العنصر الفارسي في العصر، وبخاصة من خلال عقيدة المانوية التي كان من مظاهرها السلوكية استخدام الرجل لغلامٍ أمرد في قضاء شؤونه. كما قال أبو نواس:

بِذا أَوصى كِتابُ اللَّهِ فينَابِ تَفضِيلِ البَنِينَ عَلَى البَناتِ

ولهذا، إن الغزل بالمذكر، وإن كان أفقًا جديدًا فعالًا في الشعر العباسي، فقد أضاف على مستوى التجربة الإنسانية ومستوى التعبير الفني قيمة ووزنًا وخطورة حقيقية في شعر ذلك العصر؛ وكان لسحر الغزل وتشبيبِه في شعر بشارق تأثيرٌ في قلب الحُرَّة والحصان، حتى روى أن المهديين كانوا يقصدون بذلك التشبيب بالنساء

**.2.الخمريات والمجون:**

**- الخمريات:**

من مظاهر التجديد في الخمريات في العصر العباسي هو أنّهم أكثروا فيها إكثارا يبعث على الدهشة والعجب، فمن ناحية الشكل فقد أسهبوا فيها وأفاضوا وأطنبوا، ومنهم من قصر شعره أو كاد عليها مثل (أبي نواس) الذي تربو خمرياته وحده على خمريات العصور السابقة، وفضلاً عن الإكثار منها فقد راح الشعراء يتوسعون في صفاتها ويتغنون بأسمائها ويدعون إلى معاقرتها ويتفننون في نعوتها وفي تشبيهاتها ويذكرون صفاتها وندماءها، أمّا من ناحية

المضمون فقد افتتنوا في وصفها والحديث عن دقائقها، فهذا أبو نواس يفلسف الوصف ويبدع في التصوير ويجعل الخمرة شقيقة روحه ويضفي عليها الحياة ويجعلها كائناً حيّا، وكذلك لا حياة – برأيه – سوى حياة الخمر والمجون في بيوت القبان وفي الحانات، ومن ثم مضى يدعو في خمرياته دعوة واسعة إلى العدول عن وصف الأطلال إلى وصف الخمر والمتاع بما يقترن بها من غناء وسقاة1،ومن ذلك2:

لا تَبكِ لَيلى وَلا تَطرَب إِلى هند واشرب عَلى الوَردِ مِن حَمراءَ كَالوَردِ

كَأساً إِذا اِنحَدَرَت في حَلقِ شاربها أجدته حُمرَتَها في العَينِ وَالخَدِّ

فَالخَمرُ ياقوتَةٌ وَالكَأسُ لُؤلُؤَةٌ مِن كَفِّ جارِيَةٍ مَمشوقَةِ القَدِّ

تَسقيكَ مِن عَينِها خَمراً وَمِن يَدِها خَمراً فَما لَكَ مِن سُكرَينِ مِن بُدِّ

لي نَشوَتانِ وَلِلنُدمانِ واحِدَةٌ شَيءٌ خُصِصتُ بِهِ مِن بَينِهِم وَحدي

معالم التجديد في شعر الخمريات نجد أنّها استقلّت بالقصيدة ، إذ أصبح القول فيها باباً من أبواب الشعر وغرضاً قائماً بنفسه، وقد تستهلّ به المطالع بعد أن كانت تستهلّ بالأطلال والبكاء على الديار، أي أنّها راحت تحلّ محلّ النسيب3.

**– المجون:**

المجون مرتبط بالملاذ والشهوات والعبث والمجاهرة بالمعاصي، حيث خرجت مجموعة من الأفراد على المجتمع وما ألفه بعض الناس من العبادة والزهادة. لذلك، نجد المجون يتمثل بعدة معانٍ، منها الإصرار على المتعة وإعلانها، واغتنام اللذات وممارستها جهراً حتى يتحقق الاستمتاع والابتهاج. وها هو أبو نواس يقول في هذا المعنى:

---

1عبدالله خضر، مصدر سابق، ص 238.

2أبونواس، الديوان، دط، تحوشر: سليمخليلقهوجي،دارالجيل،بيروت–لبنان،2003،ص 31

3مصطفى الشعكة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، عالم الكتب، بيروت،ب س ن، ص 240.

ألا فاسقِني خمراً، وقل لي: هيَ الخمرُ
ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ
فما العيشُ إلاّ سَكْرَةٌ بعد سَكْرَةٍ
فإن طال هذا عندَهُ قَصُرَ الدهرُ
وما الغَبْنُ إلاّ أن ترَانيَ صاحِيا
وما الغُنْمُ إلا أن يُتَعْتعني السكْرُ
فَبُحْ باسْمِ من تهوى ودعني من الكنى
فلا خيرَ في اللذّاتِ من دونها سِتْرُ

إن شعراء المجون قد أخلصوا لفنهم إخلاصاً يكاد يكون منقطع النظير، ومضوا يسجلون فيه كل ما يدور في حياتهم غير مبالين بعرف اجتماعي، أو قيم أخلاقية، أو شعور ديني. فهدفهم الأول والأخير أن يعيشوا حياة حرّة لا يقيّدها قيد، ويعبّروا عنها تعبيراً حرّاً لا يقف أمامه تقليد. كما أنهم أخلصوا لحياتهم وفنهم إخلاصاً لا يشوبه نفاق، وهم في سبيل هذه الغاية لا يبالون برأي الناس فيهم، ولا يكترثون بنظرة المجتمع إليهم.م1.

إن انغماس أبو نواس في المجون وابتعاده عن الدين والأخلاق، جعله يميل بالغزل عن مساره الطبيعي، ودفع به لاستحداث غرض جديد في الشعر ألا وهو الغزل المذكر، وقد برع فيه بنفس براعته في الغزل المؤنث، وهو بذلك يمثل قمة الفُسق والمجون، وفي ديوانه نماذج كثيرة تدل على هذا النوع من الغزل الشاذ، أين يصف فيه المذكر أو الغِلمان بأوصاف تعكس شذوذه ورغبته نحوهم، فهو يُسرف في توليد المعاني المتصلة بهذا الموضوع2، فيقول3:

**ما استَكمَلَ اللَذّاتِ إلّا فَتـَـنَيَشرَبُ وَالمُرْدُ نَدامـاهُ**

---

1خليف يوسف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1986، ص ص590-591.

2عبد الرحمن صدقي، ألحان ألحان، دط، دار المعارف، مصر، 1957، ص 400.

3أبونواس،مرجع سابق،ص 796.

**هَذا يُقَدّيـهِ وَهَـذا إِذاناوَلَـهُ القَهـوَةَ حَيّـاهُ**

**وَكُلَّما اشتاقَ إِلـى قُبلَـةٍمِن واحِدٍ أَلثَمَهُ فـاهُ**

**سَقياً لِدَهرٍ كُنتُ فيهِ لَهُـممُعاشِراً ما كانَ أَحـلاهُ**

**نَشرَبُها صِرفاً وَلَم نَقتَـرِعوَشَرطُنا مَن نـامَ نِلناهُ**

هذا النوع من الغزل الشاذ قد انتشر في العصر العباسي، وذاع صيته عند أبي نواس، فهو يتغزل بهذا الغلام تغزلا حسيا فاضحا، معددا فيه مجموعة من الصفات كأنه يتغزل بالمرأة الحسناء، ويستمر في مجاهرته في تغزله بالمُذكر بدون خوف أو حرج أو مُبالاة، ولا مُراعيا لدينٍ أو لعرفٍ اجتماعي، وإنما كان همه الوحيد هو التعبير عن شهواته والتحرر من عقده الجنسية، وتغيير مسار القصيدة العربية عن طريق التجديد في الأغراض، فيول:

**أَشْتَهي السّاقينِ، لكِنّ قلبي مُستَهامٌ بأَصْغَرِ السّاقِيينِ**

**ليسَ بالـلاّبسِ القَميص، ولكنْذي القَباءِ المُعَقرَبِ الصَّدْغينِ**

**الذي بالجَمالِ زَيّنَـهُ اللّـهُ، وحُسنِ الْجَبينِ والحاجِبَينِ**

لم يتغزل أبو نواس بالمُذكر فحسب، وإنما راح يُهاجم القيم الدينية الإسلامية والعبادات، فها هو يتحامل على شهر رمضان، ويزعم أن الخمرة تأخذ به إلى عالم الحرية، عكس رمضان الذي يُقيده، فيقول[1]:

**إذا طالَ شهرُ الصوم قصّرت طولهُ بحمراءَ يكحي الجلّنارَ احمرارُها**

**يقصّرُ عُمرَ الليلِ إن طال شربُها ويعملُ في عُمرِ النهارِ خُمارُها**

يعتبر أبو نواس من الشعراء المجددين في الشعر العربي في المعاني والخيال واللغة، وقد كان حريصا على نشر مذهبه ومخالفة القديم ما أمكنه، وهذا ما يتضح من خلال خمرياته وغزله الشاذ المذكر.

**3. الهجاء والمدح:**

1عبد الرحمن صدقي، مرجع سابق، ص 122.

**- الهجاء:**

كان الشاعر القديم يقدم لمدحته بوصف الأطلال، معبرًا عن حنين قوي لملاعب حبه في صباه وشبابه، مستطردًا من ذلك إلى وصف الصحراء. ولكن في العصر العباسي، اتسعت دائرة الخيال، ليتخذ الشاعر موضوعات جديدة، يجنح بها شديدًا إلى ترك المحافظة على بناء القصيدة التقليدية، وإلى اقتطاب أغراضه دون مقدمات طللية أو تشبيهية. فكان يصنع مقطوعات كثيرة لعدة أغراض، منها الهجاء، ونجدها عند بشّار عندما ردّ على الأعرابي الذي قال له: "ما للمَوالي والشعر؟"

أَعاذِلَ لا أَنامُ عَلى اِقتِسارِوَلا أَلقى عَلى مَولىً وَجارِ

سَأُخبِرُ فاخِرَ الأَعرابِ عَنّيوَعَنهُ حينَ بارَزَ لِلفَخارِ

أَنا اِبنُ الأَكرَمينَ أَباً وَأُمّاًتَنازَعَني المَرازِبُ مِن طُخارِ

نُغاذىالدَرمَكَالمَنفوطَ عِزّاًوَنَشرَبُ في اللُجَينِ وَفي النُظارِ

وَنَركَبُ في الفَريدِ إِلى النَدامىوَفي الديباجِ لِلحَربِ الحِبارِ

أُسِرتُ وَكَم تَقَدَّمَ مِن أَسيرٍيُزَيِّنُ وَجهُهُ عَقدَ الأَسارِ

كَكَعبِ أَو كَبِسطامِ بنِ قَيسٍأُصيبا ثُمَّ ما دَنِسا بِعارِ

فَكَيفَ يَنالُني ما لَم يَنَلهُم أَعِد نَظَراً فَإِنَّ الحَقَّ عارِ

إِذا اِنقَلَبَ الزَمانُ عَلا بَعَبدٍوَسَفَّلَ بِالبَطاريقِ الكِبارِ

فبنية القصيدة من أهم مظاهر التجديد في العصر العباسي، حيث أصبحت تعبيرًا عن بيئة الشاعر الثقافية بواقعية تتجه إلى الذاتية. وتميزت قصيدة المدح في هذا الاتجاه، وخاصة في ذلك العصر، بالخروج عن التقاليد القديمة، حيث لم تعد المقدمة الطللية والتشبيهية عنصرًا أساسيًا، بل أصبح الشاعر ينطلق مباشرة إلى غرضه بأسلوب أكثر تحررًا وابتكارًا.

- **المدح:**

جاء في كتاب القاموس لفيروزآبادي : مَدَحَه كَمَنَعَه مَدحاً ومِدحَةً : أحسَنَ الثَّناءَ عليه....والمَديحُ والأُمدُوحةُ ماُ يمدَحُ به،جمعُه: مدائِح، وأَماديح1.

**لَوأنَّ مِدحَةَ حَيٍّ أَنشَرَت أَحَدَاًأحيا أبوّتكَ الشُّمَّ الأماديحُ2**

والمدح هو تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا،3

يُعتبر المدح من بين الأغراض التي يزخر بها الشعر العربي، ففي هذا الغرض يذكر الشاعر مزايا وخصال الممدوح التي تميزه عن الآخرين، ويظهر التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا، وعُرفوا بمثل هذه الصفات.

وذكر ابن منظور في لسان العرب:

"المَدح نقيض الهجاء، وهو حُسن الثَّناء."

وفي اصطلاح أهل الأدب، المدح هو وصف الشَّاعر غيرَه بالجميل والفضائل وثناؤه عليه. وقد استمر الشعراء في مدح بني العباس من أجل نيل عطايا الخلفاء السخية، كما مدحوا الأبطال وقادة الجيوش الإسلامية الذين خاضوا معارك ضد الأعداء وحققوا النصر. فقد أشادوا بكل معركة خاضوا غمارها، وبذلك لم تعد قصائدهم مدحًا فقط، بل أصبحت تأريخًا للأحداث التاريخية التي وقعت في ذلك العصر.

ومن بين هذه الأشعار نختار أبياتًا من بائية أبي تمام في فتح عمورية، والتي يقول في مطلعها:

السَّيفُ أَصْدَقُ أَنبَاءً مِنَ الكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

1أبيالفضلجمالالدينابنمنظور، مصدر سابق، ص 691.

2إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط4، دار القلم، بيروت، 1972م، ص 49.

3 جبور عبد النور،المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1984 ص245.

يقول الشاعر: لقد أرجف المنجمون وخوّفوا من الاتجاه نحو عمورية، وتحدثوا عن أحداث جسام ستتمخض عنها الأيام، لكن استمر الزحف يقوده الخليفة، فحقق النصر، وأبطل بسيفه ما أرجفوا به، وأثبت أن السيف أصدق من كتبهم، وأن حدّه قد ميّز الحق من الباطل المفتَرى.

وتمثل بائية أبي تمام ملحمة بطولية لقائد وهب نفسه فداءً لأهداف أمته، ثم ينتقل أبو تمام لمدح عظمة الفتح والفرحة بالنصر، فيقول:

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أن يُحيطَ بِهِ
نَظمٌ مِنَ الشِعرِ أَو نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ
فَتحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَماءِ لَهُ
وَتَبرُزُ الأَرضُ في أَثوابِها القُشُبِ
يا يَومَ وَقعَةِ عمورية انصَرَفَت
مِنكَ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحَلَبِ

يعبر الشاعر عن عظمة فتح عمورية، ويصفه بأنه فتح الفتوح، ومن عظمة هذا الفتح يعجز الشعر والنثر عن الوفاء بحقه ووصفه.

كما أن أبواب السماء تفتّح له، حيث شبه الشاعر السماء بصورة البيت، فحذف المشبّه به وذكر شيئًا من لوازمه ("أبواب")، على سبيل الاستعارة المكنية.

أما قوله: "وتبرز الأرض في أثوابها القُشُبِ"، فقد شبه الشاعر الأرض بإنسان يرتدي ثوبًا جديدًا، فحذف المشبه به ("الإنسان") وذكر شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

ويريد الشاعر أن يقول إن هذا الفتح العظيم تستبشر به السماء، فتتلقاهم متفتحة الأبواب، وتبتهج به الأرض، فتبدو في زينتها وجلالها كالإنسان الذي يرتدي أجمل ثيابه.

ثم شبه تحقيق الأماني بالنصر على الأعداء بصورة الناقة التي امتلأ ضرعها باللبن، فحذف المشبه به ("الناقة") وذكر شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وفي ذلك إشارة إلى وفرة الخير والرخاء الذي يعم بعد هذا النصر العظيم.

ويبرز الشاعر فرحته وإعجابه بفتح عمورية وتحقيق أماني المسلمين، فعادوا فرحين منتصرين، مشبهًا ذلك بالحليب الممزوج بالعسل في ضرع الناقة، وفي هذا إشارة إلى حلاوة النصر.1.

وها هو أبي تمام يمدح أبو العباس نصر بن منصور بن بسام في قوله2:

أَأَطلالَ هِندٍ ساءَ ما اِعتَضتِ مِن هِندِأَقايَضتِ حورَ العينِ بِالعونِ وَالرُبدِ

إِذا شِئنَ بِالأَلوانِ كُنَّ عِصابَةًمِنَ الهِندِ وَالآذانِ كُنَّ مِنَ الصُغدِ

فأبو تمام في هذه المقدمات يقف ويستوقف ويذكر الأيام الخوالي التي كانت له في هذه الأماكن، وهذه المقدمات الطللية التي جاءت في شعره لم تكن عملا تقليديا محضا، بل كانت قالبا فنيا يعبر فنيا يعبر من خلال عن مشكلات العصر وقضاياه، ولكن هذا لم يشفع له، بل هناك بعض من الدارسين الذين يقولون إنه انتكس بالقصيدة فأعاد لها المقدمة الطللية التي خرج عليها أبو نواس3.

ومن مظاهر التجديد في غرض المدح في العصر العباسي أيضًا أنه اتجه اتجاهًا جديدًا؛ حيث مدح الشعراء مدنهم وفضّلوها على غيرها، وأحيانًا أخرى كانت قصيدة المدح بمثابة رسائل توجيهية للحاكم ليُصلح من حال رعيته.

**التّجديد في الشعر العباسي ( الرثاء، الفخر، الوصف):**

**1.الرّثاء**

1راضية لرقم، مرجع سابق، ص ص 03-04.

2 تواتي عبد الغاني، محاضرات في الحداثة في الأدب العربي، سنة ثانية ليسانس، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، السنة الجامعية 2019-2020،ص 16.

3تواتي عبد الغاني،مرجع نفسه، ص 17.

يمكن تعريف الرثاء في اللغة على أنَّه مصدر للفعل رثى، يرثي فهو راثٍ ومرثيٌّ، ومعنى رثى أي بكى أو كتب كلامًا على أحد الميتين، والرثاء هو صوت البكاء مع الكلام على الميت، صوت الكلام أثناء البكاء على الميت، أمَّا فيما يخصُّ تعريف الرثاء في الاصطلاح فهو فن من فنون الشعر العربي أو غرض من أغراض الشعر العربي القديمة، ويقول بعض النقاد إنَّ الرثاء هو أصدق الأغراض الشعرية من حيث الشعور والعاطفة ودقة تصوير التفاصيل1. وقد وردت في تاريخ الأدب العربي آلاف النصوص التي كُتبت في الرثاء، وتتعدد هذه القصائد وتتوزع وفقًا لنوع المرثي والراثي، فمن الشعراء العرب من رثى أخًا أو حبيبةً أو زوجًا أو أبًا أو أمًّا. ثم في العصر الإسلامي، ظهر نوع آخر من أنواع الرثاء في الشعر العربي، وهو رثاء الأطراف المفقودة، وهذا ما أبدع فيه الشعراء المسلمون الذين خاضوا معارك وغزوات كبيرة وفقدوا من أجسادهم ما فقدوا.

ظهر أيضًا في الأدب العربي رثاء المدن، كما حدث في الأندلس. فالرثاء فن شعري يلتقي في كثير من جوانبه مع فن المدح، ومن ثم فإننا نتوقع أن يكون مدار الرثاء على المعاني التي تبرز في الوقت نفسه في قصيدة المدح. فها هو أبو نواس يرثي الخليفة الأمين في الأبيات التالية2:

أَيا أَمينَ اللهِ مَن لِلنَدىوَعِصمَةِ الضَعفى وَفَكِّ الأَسير

خَلَّفتَنا بَعدَكَ نَبكي عَلىدُنياكَ وَالدينِ بِدَمعٍ غَزير

1ابن قتيبة،مرجع سابق، ص75.

2 إبراهيم عبد الرحمن، قضايا الشعر في النقد الأدبي،ب ط، دارة العودة، بيروت، 1981، ص 31.

1، وكذلك ظهرت آفاق معنوية جديدة لم تكن موجودة من قبل، حيث رثى الشعراء الحيوان الأليف. وهذا الضرب من الرثاء يكشف عن معنى إنساني حضاري، حيث تتولد العاطفة التي تربط بين الإنسان والحيوان. وقد كان لأبي نواس كلب صيد أثير لديه، لكن حيّة لسعته في عرقوبه وأفرغت فيه سمها فمات لساعتها، فرثاه الشاعر بأرجوزة يقول فيها:

**يا بُؤسَ كَلبـي سَيِّدِ الكِلابِقَد كانَ أَعناني عَنِ العُقابِ**

**وَكانَ قَد أَجزى عَنِ القَصّابِ وَعَن شِراءِ الجَلَبِ الجَلّابِ**

فهذا الكلب سيد في عالم الكلاب، وهو كلب صيد ماهر لا يُحوج صاحبه حين يخرج للطرد إلى استخدام الطيور الجارحة، وأنه ذكي وفطن، وأنه ليحسب فقده إحساسًا عميقًا، إذ لم يكن من السهل أن يستعيض عنه بكلب آخر. ويمضي الشاعر في سرد حزين، مادحًا لهذا الكلب فخورًا به، ثم يسترسل ليحكي لنا قصة مصرعه. باسم الحيّة، إلى أن يختتم المرثية بتوعّده بالاقتصاص لكلبه الأثير، قائلًا:

**لا أُبتُ إِن أُبتُ بِلا عِقابِحَتّى تَذوقي أَوجَعَ العَذابِ**

وظهرت ضروب كثيرة في الرثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر ، من ذلك رثاء المدن حين تنزل بها كوارث النهب والحرق، وكان الجيش الذي أحاط ببغداد قبل مقتل الأمين رماها بالمجانيق فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض الأحياء، وعمّ فيها نهب الأموال وقتل الأبرياء، مما جعل الكثير من الشعراء يبكونها وقد غمرهم الحزن والأسى، من مثل قول بعضهم2:

**أَلا ابْكِ لإحراقٍ وهَدْمِ منازِلِ وقَتْلٍ وإنهابِ اللُّهى والذخائِرِ**

**وإبراز ربّاتِ الخدورِ حواسراً خَرَجْنَ بلا خُمْرٍ ولا بمآزِرِ**

**كأن لم تكن بغدادُ أحسن منظراً وملهىً رأته عينُ لاهٍ وناظِرِ**

---

1عزالدينإسماعيل،مرجع سابق،ص357 .

2كريم علي عبد علي،مظاهر التجديد والتطور في أغراض الشعر العباسي، محاضرات في الأدب العباسي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق،2020–2021 ص 03.

ومن ضروب الرثاء الجديدة مراثي الطير الصادح من مثل القمريّ والحيوانات المستأنسة، ومن المراثي الجديدة الموضوع مرثية محمد بن يسير لبستان له عاثت فيه شاة أفلتت لأحد جيرانه، ودخلت البيت، فعاثت ببعض صحفه وقراطيسه ، وفيها يندب روعة هذا البستان قبل أن تعبث به ضارعاً إلى ربّه بالشكوى من هذه الشاة وأن يَنْزل بها عقاب أليم1.

**2. الفخر:**

الفخر هو أهم الأغراض الشعرية وهو عبارة عن مجموعة من الأبيات الشعرية يذكر الشاعر فيها صفاته الحسنة والفخر يكون بالأهل والشعر ويعد الفخر غرضا من أغراض الشعر حيث من خلاله يعتز الشاعر بشجاعته وقوته وكذلك بشرف النسب والكرم والجود ومرتبته الاجتماعية وهو الاعتزاز بالفضائل التي يتجلى بها الشاعر أو تتجلى بها قبيلته، والتي من شأنها إعلاء الصيت ورفع المكانة بين الآخرين، وقد اتجه الشعراء بهذا الغرض في عصرنا إلى الفخر بالوطن والمواطن والإشادة بالتاريخ والجذور2.

وقد تطورت معاني الفخر القديم عند بشار بن برد، وحملت معاني العصبيات الجنسية بعدما كانت في حدود العصبيات القبلية، وذلك عندما افتخر بأصله الفارسي نتيجة لتمكن الفرس في الدولة العباسية. فكان من مضري نار الشعوبية الفتّاكة، عندما افتخر بآبائه وأجداده وإخوانه من الفرس والروم، ولمّا ذكر:3، مساعدة الفرس لبني العباس، قال 4:

هَل مِـن رَسولٍ مُخبِرٍعَنّـي جَميعَ العَرَبِ

مَن كانَ حَيّاً مِنهُـمُ وَمَن ثَوى فـي النُرُبِ

1كريم علي عبد علي،مرجع نفسه، ص ص 03-04.

2 عبد المجيد عناد،من روائع الشعر الشعبي، ط1،دار الثقافة، ب ب ن، 2008، ص53.

3مارون عبود، أدب العرب، ط2، مج01، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ،ب س ن، ص 184.

4مارون عبود، مرجع نفسه، ص 184.

بِأَنَّني ذو حَسَـبٍعـالٍ عَلى ذي الحَسَبِ

جَدّي الَّذي أَسمو بـهِكِسـرى وَساسانُ أَبـي

وَقَيصَرٌ خـالي إِذاعَدَدتُ يَومـاً نَسَبي

ومنها:

إِنّا مُلوكٌ لَـم نَزَلفـي سالِفاتِ الحِقَبِ

نَحنُ ذَوو التيجـنِ وَال مُلكِ الأَشَـمِّ الأَغلَب

**3.الوصف:**

الوصف أحد أغراض الشِّعر العربيّ، قد اهتم الشاعر بمناظر الطبيعة حوله، وغيرها ممّا استدعى اهتمام الشاعر لقول الشعر، ووصف ما يشاهده حوله؛ لذلك فإن الوصف في الشعر العربي غزير يتناول شتَّى الموضوعات، وقد أجادوا فيه غاية الإجادة، وعرجوا في شعرهم على وصف أثر من آثار الطبيعة أو المدنية، وغيرها.1

وهذا يؤكّد أنّ الوصف لم يكن غرضًا من أغراض الشعر العربي فقط، و من يطلع على الشعر يجد أن القصائد العربية لا بد فيها من وجود الوصف، حتّى وإن كانت القصيدة في المدح أو في موضوعات أخرى، فإنّ فيها أجزاء تعتمد على الوصف، فالشاعر الجاهلي مثلًا يصف الأطلال، ويصف الرحلة، ويصف الناقة أيضًا في القصيدة، وقد يصف الشاعر العباسي اشتداد المعركة كما وصف المتنبي معركة الحدث الحمراء وهو يمدح سيف الدولة، ويضاف إلى ذلك وصف المظاهر الحضارية في الشعر مثل: القصور2.

1 شوقي ضيف، مرجع سابق، ص 141.

2سامي أبو زيد ،الأدب الأندلسي، ط1، الأنجلو للنشر والتوزيع، مصر، 2012،ص63.

عُرف عن شعراء العصر العباسي كثرة الوصف، خاصة وصف المناظر الطبيعية، سواء الصامتة منها أو الصائتة، وأجادوا في ذلك. ويُطلق على هذا النوع من الشعر شعر الطبيعة أو وصف الطبيعة، وهو فرع من فروع فن الوصف في الشعر العربي.

وكان الوصف في شعر أبي تمام مستقلًا بقصائد وأراجيز ومقطعات، كما جاء مبثوثًا في مدائحه وسواها من الأغراض. وقد وصف1 شاعرنا الحرب والخيل والإبل والنساء والغلمان والشيب واحتضار الميت والطبيعة والشراب، فأفاض2 في ذكرها جميعًا.

ومن ذلك قوله في مدحته لمحمد بن الهيثم: ، "، 3:

ديمَةٌ سَمحَةُ القِيادِ سَكوبُمُستَغيثٌ بِها الثَرى المَكروبُ

لَو سَعَت بُقعَةٌ لِإِعظامِ نُعملَسَعى نَحوَها المَكانُ الجَديبُ

لَذَّ شُؤبوبُها وَطابَ فَلَو تَسطيعُ قامَت فَعانَقَتها القُلوبُ

فَهيَ ماءٌ يَجري وَماءٌ يَليهِوَعَزالٍ تَهمي وَأُخرى تَذوبُ

كَشَفَ الرَوضُ رَأسَهُ وَاِستَسَرَّ المَحلُ مِنها كَما اِستَسَرَّ المُريبُ

فَإِذا الرَيُّ بَعدَ مَحلٍ وَجُرجانُ لَدَيها يَبرينُ أَو مَلحوبُ

في هذه الأبيات، يقف أبو تمام وقفة طويلة عند (الغيمة)، ثم ينتقل بسلاسة من كرم السحاب إلى كرم الممدوح، فكأن سخاء الممدوح ما هو إلا فرع من أصل سخاء الطبيعة.

1مصطفىالشكعة،الشعروالشعراءفيالعصرالعباسي،ط1، ج1، دارالعلم للملايين، بيروت،ب س ن،ص769.

2بطرسالبستاني،أدباءالعربفيالأعصرالعباسية–حياتهم،آثارهم،نقدآثارهم–، ط1، دار مارون عبود، القاهرة، 2013، ص86.

3أبوتمامحبيببنأوسالطائي، مصدر سابق،ص119.

فالطبيعة عند أبي تمام في حالة حركة ونمو؛ فالثرى مكروب، والماء يجري، والروض يكشف رأسه... إلخ. فقد صوّرها لنا في صورة إنسانية، فجعلها نابضة بالحياة. كما أن السحاب والمزن والديم والغيث والمطر والبرق ومشتقاتها ترمز عنده إلى الخصب والنماء والاستمرار في الحياة.

يحاول أبو تمام الوصول إلى تجاويف النفس من خلال التجول في تجاويف الطبيعة، وبخاصة حين يشخصن الطبيعة، فيزيدها ثراءً وحيوية؛ فالرعد خطيب، والأرض شابة في الربيع وشيخة في الشتاء. وهو شديد الحساسية لكل ما يجري في الطبيعة، وبخاصة عنصر الزمن، حيث يلعب الزمن في قصائده دورًا رئيسيًا.1، وهذا في قوله2:

رَقَّت حَواشي الدَهرُ فَهيَ تَمَرمَرُوَغَدا الثَرى في حَليهِ يَتَكَسَّرُ

نَزَلَت مُقَدِّمَةُ المَصيفِ حَميدَةًوَيـدُ الشِتاءِ جَديدَةٌ لا تُكفَرُ

لَولا الَّذي غَرَسَ الشِتاءُ بِكَفّهِلاقى المَصيفُ هَشائِماً لا تُثمِرُ

كَم لَيلَةٍ آسى البِلادَ بِنَفسِـهِفيها وَيَومٍ وَبلُـهُ مُثعَنجِرُ

مَطَرٌ يَذوبُ الصَحوُ مِنهُ وَبَعدَهُصَحوٌ يَكادُ مِنَ الغَضارَةِ يُمطِرُ

غَيثانِ فَالأَنواءُ غَيثٌ ظاهِرٌلَكَ وَجهُهُ وَالصَحوُ غَيثٌ مُضمَرُ

وَنَدىً إِذا اِدَّهَنَت بِهِ لِمَمُ الثَرىخِلتَ السِحابَ أَتاهُ وَهُوَ مُعَذِّرُ

أَرَبَيعَنا في تِسعَ عَشرَةَ حِجَّـةً حَقّاً لَهِنَّكَ لَلرَبيعُ الأَزهَـرُ

إن هذه الأبيات تُعتبر من عيون الشعر، صوّر فيها أبو تمام إحساسه تجاه هذا الفصل الساحر من فصول العام. فهو لا يقف عند الجانب الوديع الساكن من الطبيعة – كما هو

1العربيحسندرويش،مرجع سابق،ص161

2أبوتمامحبيببنأوسالطائي،مصدر سابق،ص 252.

معتاد في الشعر العربي – وإنما نراه يعبر عن حالات القسوة والعنف في الطبيعة، متكئًا في ذلك على أدوات كثيرة، في مقدمتها الإحساس بالزمن.1.

1العربيحسندرويش،مرجع سابق، ص ص 161-162.

# المحور الحادي عشر :تطورّالأشكال النثريّة وخصائصها في العصر العباسي

**تطور الأشكال النثرية وخصائصها في العصر العباسي:**

تميّزالعصرالعباسي بمظاهرجديدة،لم تكن شائعة في العصرالأموي،مثل ظهور ثقافات جديدة محورهاعربي مُستمدّة من الأمم القديمة المجاورة.

**1. النثر في العصر العباسي:**

أ-**النثر لغة:**نَثرُكَ الشيءَ بيدك ترمي به متفرّقا مثل نثر الجوز، واللوز،والسكر، وكذلك نثر الحبّ إذا بُذر"[1].

**ب-النثراصطلاحاً:** "هو أحد ألوان القول الأدبيّة، وتتعدّدأشكاله ،وتختلف ألوانه بتعدّد المواقف الّتي يقال فيها ،واختلاف المناسبات التي ينشأ من أجلها، فقد يكون النثر خطبة،أورسالة، أووصية ،أو توقيعا...[2]، والكلام المنثور هو:" الكلام الذي لم يضبطه وزن،أو سجع أو روي، لذا فالكلام اليوميّ، الوافي بأغراض الناس، واحتياجاتهم يُسمىّ نثرا، ولكنّه كلام محكيّ، يجري بين العامّة والخاصّة، وهذا ليس من همنا،بل المقصود هنا بكلمة النثر،ما يؤلف الأديب في إطاره الفني،تعبيرا عن الفكر، والحضارة"[3].

وقد زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخيّة، والتقلُّبات السياسيّة، كما زخر بالتطوّرات الاجتماعية، الّتي نقلت العرب من حال إلى حال، وقد كانلكلّ هذا، أثر واضح في تطوير الأدب عامّة، والكتابة بصفة خاصّة، وتقدّمت الكتابة الفنيّة في هذا العصر تقدّما محسوسا؛ وسارت شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتّساع، وأصبح النّثر العربي في العصر العباسي متعدّد الفروع، فهناك النّثر العلمي والنثر الفلسفيّ والنثر التاريخيّ، والنثر الأدبيّ الخالص،

[1]جمال الدين ابن منظور، مصدر سابق، ص 379.

[2]محمد مصطفى منصور،صور من النثر الفني في عصري صدر الإسلام وبني أمية،دارغريب،مصر،1998،ص7.

[3]علي شلق، مراحل تطور النثر العربي في نماذج، ط1، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1991،ص69.

وكان في بعض صوره امتدادا للقديم؛ وكان في بعضها الآخر مبتكرا لا عهد للعرب به، والأغراض الّتى عبّر عنها النثر الفنيّ في هذا العصر اتجه إلى كثير منالأغراض، والموضوعات الشخصيّة والاجتماعية والإنسانيّة وغيرها[1].

**أ-أساليب النثر في العصر العباسيّ:**

نظراً لتطوّر فنّ النثر في هذا العصر انطلاقاً من الحاجة لبعض فنونه(الرسائل الديوانيّة) أو إظهار القدرة والتفنّن في ذلك من خلال الرسائلالديوانية والإخوانيّة ، فإنّ الكُتّاب اهتمّوا بهذا الفن وصنعوا له طرقاًمختلفة .ولكنّها تلتقي في نقطتين أساسيّتين تظهران أسلوب النّثر في ذلك العصر :

1/إيصال المعنى الدقيق والطريف إلى القارئ.

2/إثارة الجمال في نفس القارئ والسّامع.

وبذلك يكون أسلوب النّثر قد انتهج طريقاً واضحاً لإيصال المعنى ، وقد أوضحالجاحظ في مقدّمة كتابه " البيان والتبيّن " هذا الطريق من خلال اعتماد النقاط الآتية:

1/فصاحة الألفاظ .

2/عدم تنافر الحروف.

3/أداء الألفاظ للمعاني الدقيقة.

4/اعتماد أسلوب البلاغة العربية في توصيل المعاني.

ومن هنا كانت الفنون الأدبيّة ( أشكال الخطب الأدبي –والرسمي–والديواني–)[2]

## أهمّ كتاب النثر في العصر العباسي:

من أبرز كُتّاب النّثر في هذا العصر؛ الجاحظ وابن المقفع وسهل بن هارون وأبو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني و الحريري ؛ وقد اهتمّ ابن المقفع وسهل بن هارون بمذهب الصّنعة في العصر العباسي ، وترجع أهميّة ابن المقفع في النثر العربي إلى أنّه يُعدّ أفضل من نقل الثّقافة الفارسيّة إلى العربية ، يقول ابن المقفع ناصحاً كُتّاب النثر:

---

[1] علي شلق،المرجع نفسه ، ص ص82–83.

2 الشكعة مصطفى : الشعر و الشعراء في العصر العباسي . بيروت , دار العلم للملايين . ط (1980) ص : 46 .

"إياك والتتبّع لحوشيّ الكلام طمعاً في البلاغة ، فإنّ ذلك دليل على العي."

ويقول أيضاً:عليك بما سهل من الألفاظ ، مع التجنب لألفاظ السفلة (العامة)"

وقد سئل ابن المقفع عن البلاغة ؟ فقال: " التي إذا سمعها الجاهل ظنّ أنهي حسن مثلها". وتأتي أهميّة الجاحظ من كونه رئيساً من رؤساء المعتزلة وظاهرة فريدة من ظواهر العصر العباسي، وقد قال ابن العميد فيه: «الناس عيال عليه في البلاغة والفصاحة". ويقول ابن العميد:" كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً."

ويظهر تمييز الجاحظ من خلال اهتمامه بألفاظه ومعانيه ودقة آرائه ، والأدلة والبراهين الّتي يسوقها لإثبات القضيّة .الّتي يتحدّث عنها، إضافة إلى مقدماته ونتائجه المتأثرة بالمنطق والفلسفة والجدل والحوار.

يقول الجاحظ في مقدّمة كتاب الحيوان :

"جنّبك الله الشّبهة ، وعصمك من الحية وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبّب عليك التثبيت وزيّن في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى". فالألفاظ هاهنا منتخبة كقوله (جنّبك – الإنصاف– الحلاوة)،والعبارات مقطّعة تقطيعاً صوتياً ؛ أمّا أبو بكر الخوارزمي فقد تحوّل النثر معه ومع نظيريه بديع الزمان ، والحريري إلى التصنيع معتمدين على السجع والترصيع والبديع. يقول أبو بكر الخوارزمي في كتابٍ أرسله إلى أبي محمد العلوي"قرأت الفضل المسجّع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه"؛ أمّا بديع الزمان، فقد تميز بإنشائه لفنّ جديد في الأدب العربي، وهو فنّ المقامات وأهمّ خصائص هذه المقامات :

1/ القصص القصيرة.

2/الحركة التمثيليّة.

3/ الاعتماد على شخصيتين وهميتين هما أبو الفتح الإسكندري وعيسى بن هشام.

## خصائص النّثر في العصر العبّاسي:

بما أن كُتّاب النثر في العصر العبّاسي، اطّلعوا على ما كتب في النثر في المصادر العربية، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمصادر الهندية واليونانيّة من خلال ما ترجم من كتب فلسفية ، فإنهم اعتمدوا في كتابة منوراتهم على خلط الطريقتين العربية والأعجمية مما جعل النثر يتميز بخصائص مختلفة بين الكتاب ويمكن حصرها بـ[1]:

-1استعمال الألفاظ المتوسطة التي تنفي الألفاظ المتعرة والألفاظ السوقيّة الساقطة.

-2إيجاد ضرب من التلاؤم الموسيقي الذي يكسو الكلام كسوة الازدواج والترادف الصوتي وكلام البديع.

-3اعتماد مذهب السجع .

-4التركيز على تصنيع العبارة وترصيعها وزخرفتها.

-5اللجوء إلى المبالغات والتهويلات والاعتذار بكثرة العبارات المنمقة.

وقد وصل النثر في هذا العصر إلى درجة الاهتمام بالشكل أكثر من المضمون بحيث تبدو القطعة النثرية المكتوبة مقصودة لذاتها ، يريد الكاتب أن يعبّر عن مقدرته وموهبته فيها أكثر ممّا يريد أن يُعبّر عن معنى من المعاني التي يحتاجها الإنسان. [2]

## خصائص فنون النثر الّسردي في الأدب العباسي:

### 1/القصص:

الذي كانت تهفو إليه النفوس وتسمو إليه الأعين عند عرب الجاهلية كما عبرن ذلك "بروكلمان"، فكان القاصّ أو الحاكي، يتّخذ مجلسه بالليل أو في الأماسي عند مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة، وفي مجالس أهل القرى والحضر، وهم سكّان المدن بلغتنا اليوم .فالقصص فنّ نثريّ متميّز، عبارة عن مجموعة من الأحداث تتناول حادثة وواقعة واحدة، أو عدّة وقائع، تتعلّق بشخصيات إنسانيّة وأخرى مختلفة –غير إنسانيّة– لها قسمان حسب طبيعة أحداثها هما؛ حقيقية واقعية، وخياليّة خرافية.

1 عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول . القاهرة . دار المعارف . ط ( 1974) ص : 22 .

2 زيدان . جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية . بيروت , منشورات مكتبة الحياة . ط : الثانية (1978) . ص : 350-351 .

تتميّز القصّة، بأنها تصوّر فترة كاملة من حياة خاصة، أو مجموعة من الحيوات فهي تَعمدُ إلى عرض سلسلة من الأحداث المهمّة وفقاً لترتيب مُعّين[1].

بينما نجد الأقصوصة تتناول قطاعاً ،أو موقفاً من الحياة، فهي تعمد الإبراز صورة متألّقة واضحة المعالم بيّنة القسمات، تؤدّي بدورها لإبراز فكرة معيّنة.

القاصّ:هو السّارد للأحداث ، تزدحم في رأسه أحداث وشخصيات، ينف خفيها الروح لتتحدث بنعمة الحياة. مهمته أن يحمل القارئ إلى حياة القصة ويتيح له الاندماج التام في أحداثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث ما بينهما، ويعود الأمر إلى قدرة القاص على التجسيد والإقناع كانت مادة القصص أو مواضيعه؛ متعددة ومتنوعة، وذلك بغية التسلية والمتعة، أو حتى الوعظ والإرشاد، أو شد الهمم، فكان بعضها يدور حول ◄ الفروسية، تاريخ القبيلة، بطولات الأمجاد؛ مثل حرب البسوس، الدّاحس والغبراء [2]....

## 2/المقامات:

المقامات مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم جمعت بين النثر والشعر بطلها رجل وهمي. وعرف بخداع ومغامراته، وفصاحته وقدرته على قرض الشعر، وحسن تخلّصه من المآزق الجانب أنّه شخصية فكاهيّة نشطة ،تنتزع البسمة من الشفاه والضحكة من الأعماق .ويروي مغامرات هذه الشخصية التي تثير العجب وتبعث الإعجاب رجل وهمي يدعى عيسى بن هشام. [3]

**خصائص المقامة وأهدافها:** لقد ارتبطت نشأة المقامات في الأدب العربي بفساد كل من الحياتين الاجتماعيّة والأدبيّة، ففي خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وما تلاه، الإسلاميّة ،وظهور دويلات مُتعدّدة، ونتج عن ذلك جماعات حاكمة متمتّعة بكلّ الحقوق سيطر البويهيّون على مراكز الخلافة الإسلامية في بغداد، وأدّى ذلك إلى تفتُّت الدّولة في مقابل كثرة إسلامية كادحة، وأصبح لزاماً على الأدباء المُتطلّعين إلى حياة كريمة الاتصال بالحُكّام، والأمراء مادحين إيّاهم أملاً في العطايا والهبات، فأصبح الأدب وسيلة للكسب، وظهرت جماعة من العامّة تتّخذ من

1 شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني . مصر , دار المعارف . ط ( 3) ص 52
2 شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني . مرجع سابق ص 98
3شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني . مرجع سابق ص 98

الأدب وسيلة إلى التسوّل أحياناً ،والنّصب أحياناً أخرى، وكان من هؤلاء طائفة الساسانيين، وكانوا أهل كدية يتجوّلون في البلاد محتالين على الناس، أملاً في التكسّب ،وابتزاز الأموال بالدّهاء والحيل . تقول الدكتورة **نجلاء الوقاد:** «لم يكن هدف الهمذاني من تأليف المقامات التفقه والتندّر والسّخرية، بل أراد أن يرصد الحياة من حوله. فهو قد ضاق ذرعاً بها، وأنّ الحياة الضنك الّتي كانت تفرض سلطانها على السّواد قد آذت نفسه، وأمضت ضميره، فلم يملك إلاّ أن يصوّرها في صورة ترفع الإحباط عن كواهل السواد، وتمسح ما بهم من قنوط، وتثير فيهم الإحساس بما يعانون» ، وقد دارت المقامات حول موضوع «الكدية» كأثر من آثار الاضطراب الاجتماعيّ والسياسيّ الذي ساد العالم الإسلامي في ذلك الوقت. وقد واكب ذلك كلّه اضطراب في الحياة الأدبيّة، فاهتمّ الأدباء بإظهار التفوّق على بعضهم في مجال الصّنعة ،والإكثار من المُحسّنات اللفظيّة والمعنويّة .[1]

## 3/المنامات:

المنامات قصص تدور أحداثها في الأحلام .يعالج فيها الكاتب موضوعا معاصرا ،أو مشكلة معاصرة، ويكون الكاتب هو الرّاوي ،وهو بطل المنامة أو أحد المشاركين في أحداثها .الحُلم أو الرؤيا سلسلة من التخيّلات ،الّتي تحدث أثناء النوم, وتختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنتقيتها، والأحلام هي وسيلة تلجأ إليها النفس لإشباع رغباتها ودوافعها المكبوتة ،خاصّة الّتي يكون إشباعها صعبا في الواقع. ففي الأحلام يرى الفرد دوافعه فتحققت في صورة حدث أو موقف .

ودراسة الأحلام وجدت لها آثار على الألواح الحجريّة. التي ترجع إلى **سوم** أقدم حضارة عرفتها البشريّة، واعتقدت بعض الشعوب القديمة مثل الإغريق أنّ الأحلام عموما هبة من الآلهة لكشف معلومات للبشر ،وزرع رسالة معيّنة في عقل الشخص النائم.

## 4/السّير:

[1]جابر قميحة،أدب الرسائل في صدر الإسلام،ج1،المرجع السابق ص 15

المقصود بالسيرة هو ترجمة حياة شخص أو جانب من حياته كما يعرّفها **محمود عبدالرّحيم صالح**و السّير في اللغة تعني السّنة والطريقة، والحالة الّتي يكون عليها الإنسان وغيره. يُقال فلان له سيرة حسنة، وقال تعالى: (سنعيدها سيرتها الأولى) (طه:21)

**السيرة اصطلاحًا:**

فنّ أدبيّ يعتمد على الانتقاء والترتيب لإعادة الشخصيّة إلى واقعها الحقيقي دون تزييف.

وتعني قصة الحياة وتاريخها، وكُتبها تسمّى: كتب السّير، يُقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته. والسيرة النبوية تعني مجموع ،ما ورد لنا من وقائع حياة رسول الإسلام ،وصفاته الخُلقيّة والخَلقيّة، مضافا إليها غزواته وسراياه .

ويُقال أيضاً كتب المغازي لوصفها للغزوات والمعارك والرحلات.

ويُقال كتب الطبقات لتقسيمها سير الأشخاص المعلومين إلى طبقات كل طبقة مكوّنة من عدّة سنوات قد تكون 100 سنة أو أكثر، أو أقل بحسب تقسيم المؤلّف.

أدب السيرة الذاتية من فنون الأدب التّوثيقي، وهو سيرة شخصيّة بضمير المتكلّم أو ضمير الغائب، يرويها صاحبها بنفسه مثل الأيّام **لطه حسين**، وقد يلعب فيها الخيال دورا مثل اعترافات "**جان جاك روسو**"، وقد تنصب على التّجربة الروحيّة ،والتحليل النفسيّ الاستبطاني؛ مثل اعترافات القديس أوسطين، وقد تكون صادمة مثل يوميات أندريه

و (مذكرات لص) لجان جينيه..[1]

وفي الأدب العربي ،هناك أمثلة بقلم **نجيب محفوظ** و**العقّاد** و**المازني** و**هيكل**.

كما يُمكننا القول بأنّ السيرة الذاتية عبارة عن ملخّص لمراحل حياتيّة ،مرّ بها الشخص أكاديميّا ومهنيّا ذاكرا فيها التّسلسل التاريخي، والخبرات المُكتسبة من خلال مروره بهذه المراحل. أمّا من الناحية الوظيفيّة .فيمكن تعريفها بأنّها عبارة عن ملخّص تسويقي يعرض الشخص من خلاله

1 البستاني بطرس : أدباء العرب . منتقيات . بيروت . دار مارون عبود ص 187

لمهاراته وإنجازاته وخبراته بصورة أقرب إلى الواقعية ،وبشكل علميّ منسّق ومتطوّر. يمكن من يطّلع عليها بعمل انطباع مبدئي عن الشخص المتقدم قبل مقابلته وجه لوجه .

## خصائص النثر في العصر العباسي

وعلى صعيد الأسلوب في نثر العصر العباسي فقد اغتنت ملامحه وتنوعت أنماطه. فقوام التعبير عند ابن المقفع المطابقة بين اللفظ للمعنى، مع توخي الاقتصاد في الألفاظ والوضوح في المعاني إذ البلاغة عنده «هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها»، فكان همه جلاء الفكرة وإيصال المعنى، ولهذا لم يكن يلوي على صنعة أو تنمق ولا وشي أو تزيين. غير أن السنين التي أعقبت ذلك حملت مع التعقيد الحضاري ما يوازيه من التعقيد الأسلوبي، على غرار ما كان أيضاً من حال الشعر، فطالت العبارة لتكون أقدر على استيعاب الفكرة، وحل الإطناب في القول محل الإيجاز المعهود. وحرص الكتاب على أن تتسربل جملهم فيما بينها بإيقاع الازدواج أو التوازن، من مثل ما جنح إليه سهيل بن هارون و الجاحظ، أول الأمر، ثم ما زاد فيه أبو حيان التوحيدي ، وما استكثر منه ابن العميد )ت360هـ/830م)، و الصاحب بن عباد ت385هـ/995م[1]

ثم مضى العاثرون على هذا الصعيد من تدبيج كتاباتهم والتأنق في عباراتهم إلى المدى الأقصى، وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري، وما تلاه من قرون. فجدّوا في طلب الزخرفة والتنميق. ولم يقتصر طلب السجع والزخرف على أصحاب المقامات بل كاد يشمل ذلك معظم الأدباء والناثرين. وقلما نأى كاتب منشئ في العهود العباسية المتأخرة عن هذه المظاهر التزيينين في النثر العربي .فأبو العلاء المعري في كتابه «الفصول والغايات» الذي كاد يقصره على مناجاة الخالق بعبارات طافحة بالغرابة اللفظية ومثقلة بالسجع الممجوج: «أقسم بخالق الخيل، والعيس الواجفة بالرحيل، تطلب بموطن جليل، والريح لهابة بليل، بين السوط ومطامع سهيل، إن الكافر لطويل الويل، وإن القمر لمكفوف الذيل، شعر النابغة وهذيل، وغناء الطير على الغيل.«...

ولم يحلّ القرن السادس الهجري ،حتى غلب التصنّع على النثر العربيّ، وبسط طابعه على معظم النّتاج الأدبيّ في ذلك العصر. ولعل ما يبعث على الرضى أنّ بعض أنماط الكتابة النثريّة لم

1 شوقي ضيف، العصر الجاهلي (القاهرة، دار المعارف 1960.( ص 88

تنجرف مع هذا المدّ التعبيريّ المتكلّف، بل ظلّت بريئة إلى حدّ بعيد من معظم هذه القيود اللفظية والزّخارف البديعيّة، إلاّ قليلاً من السّـــجع بين الألفاظ ،وبعضـــاً من التوازن بين الجمل, فحافظت كتب المؤلّفين، ومصـنفات العلماء بالإجمال على الأسـلوب المُرسـل ،ولاسـيما مؤلّفات النّقد الأدبي ،والتّراجم والتاريخ وتقويم البلدان ونحوها. وخير مثال على هذا الترسُّـــل ما كتبه الأصـــفهاني ، و عبد القاهر الجرجاني... وامتدّ هذا المنحى النثريّ المُطلق إلى ما بعد العصر العباسيّ، وتجلىّ في نثر ابن خلدون ، وأمثاله من أصحاب الأسلوب المُرسل.

## المصادر والمراجع


. القرآن الكريم

1. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط10، 1969.

2. أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعراءها، دار النصر للطباعة والنشر، د ط، د ت.

3. ابتسام مرهون الصفار، الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج للنشر والتوزيع، د ط، 2006م.

4. أحمد محمد عوين، مداخل الأدب العربي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2014م.

5. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 1954م.

6. أحمد محمد الحوفين، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، لبنان، د ط، د ت.

7. الأصفهاني، الأغاني، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، د ت، ج6.

8. بطرس البستاني، أدب العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار نطير عبود، د ط، 1997م.

9. توفيق برؤ، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط2، 1996م.

10. حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية، لبنان، ط3، د ت.

11. حسين عطوان، شعر الوليد بن يزيد، مكتبة الأقصى، الأردن، ط1، 1979م.

12. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، ط2، 1953م.

13. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993م، ج1.

14. زكريا صياح، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993م.

15. سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الفتوحات الإسلامية، العبيكان للنشر، السعودية، ط1، 1431هـ.

16. سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، مطابع الرسالة، الكويت، د ط، د ت.

17. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف، مصر، ط11، 2008م.

18. شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، د ت، ج3.

19.عادل سليمان جمال، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، مطبعة المدني، مصر، د ط، د ت.

20. عثمان موافى، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1999م.

21. عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، مطبعة الترقي، سوريا، د ط، 1968م.

22. عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر، ط3، 2004م.

23. عبدا علي مهنا، ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1414هـ.

24. علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار مكتبة الجامعة العربية، لبنان، ط3، 1966م.

25. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، لبنان، ط4، 1981م.

26. فؤاد إفرام البستاني، الروائع، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، د ط، 1929م.

27. محمد حسين هيكل، عثمان بن عفان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د ط، د ت.

28. محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د ط، 1980م.

29. محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط3، 1404هـ.

30. مصطفى بدر زيد، المنتخب في تاريخ أدب العرب، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د ط، 1990م.

31. مطاع صفدي وإيليا جاويد، موسوعة الشعر العربي الشعر الجاهلي، شركة خياط للكتب والنشر، لبنان، د ط، 1974م.

32. نجيب محمد البهيتين، تاريخ الشعر العربي، مطبعة دار الكتب المصرية، د ط، 1950م.

33. يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.

34. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، ط2، 1995م، ج.2

35.يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب عصر صدر الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 2009م.

36. محمد صديق حسن عبد الوهاب، الصحراء في الشعر الجاهلي (رسالة دكتوراه)، جامعة أم درمان الإسلامية، 2007-2008م.

37. نديم يوسف المبيضين، مظاهر الحضارة في الشعر الأموي (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، 2014م.

38. أين تقع نجد، موقع موضوع، mawdoo3.com، 28 جانفي 2023.

# فهرس المحتويات

المحور الأوّل :الإطار الزّماني والمكاني للأدب قبل الإسلام ..... 1

المحور الثاني :الشعر الجاهلي خصائصه وموضوعاته ..... 12

المحور الثالث :مضامين الشعر الجاهلي وعلاقاتها بالواقع ..... 22

المحور الرابع :الإسلام وأثره في اللغة والأدب العربي ..... 29

المحور الخامس :أثر الإسلام في الحركة الشعرية ..... 43

المحور السادس : المنطلقات السياسية والثقافيّة وأثرها في الشعر الأموي ..... 53

المحور السابع :الخلافات الفكرية وأثرها في الشعر العربي ..... 70

المحور الثامن :سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ..... 77

المحور العاشر :القيم الأدبيّة و الفنيّة المُستحدثة في الشعر العبّاسي ..... 99

المحور الحادي عشر :تطورّالأشكال النثريّة وخصائصها في العصر العباسي .....121